بسم الله الرّحمن الرحيم

صوت البحرين

Voice of Bahrain
BM Box 6135, London, WC1N 3XX

عدد خاص

October 1995. Issue No. 153
العدد ١٥٣، أكتوبر ١٩٩٥م، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنّه لا يفلح الظالمون

نشرة شهرية تصدرها حركة أحرار البحرين الإسلامية

صوت الحركة الإسلامية في البحرين

اطلاق الشيخ الجمري
انتصار للمشروع الدستوري

جاء الافراج عن الشيخ عبد الامير الجمري في ٢٦ سبتمبر الماضي ليضع الانتفاضة في ثوب جديد تكتسي فيه حلل التضحية والفداء، وتدفع الجماهير للصمود على طريق النضال والمواجهة حتى تحقيق المطالب الدستورية ولعل الدرس الاهم في الاتفاق الاخير بين قادة الانتفاضة وممثلي حكومة البحرين هو ان القادة الشعبيين يتمتعون بسلطة اكبر على الصعيد الاجتماعي. فقد ادت سياسات حكومة آل خليفة على مدى العشرين عاما الماضية الى تبلور الوضع بشكل اصبح المواطنون فيه يشعرون بالانفصال النفسي والسياسي عن الحكومة القائمة في البلاد. وهو شعور متبادل. فالحكومة لا تشعر ان بامكانها الثقة في شعب البحرين. وذلك فهي تستدعي الخبراء الاجانب لتسيير اتفه الامور في البلاد وابسطها مع وجود قدرات وطنية قادرة على الاستغناء الكامل عن اي خبير اجنبي. وتستقدم العمال الاجانب بينما لديها اكثر من ٣٠ الف عاطل عن العمل. ويدير جهاز الامن في البحرين طاقم بريطاني يرأسه الضابط الاستعماري السيء الصيت، ايان هندرسون، الذي عينه آل خليفة مديرا عاما للامن العام في البلاد، وتتكون قوات الشغب من مرتزقة باكستانيين ويمنيين واردنيين، ويتكون الجيش منهم كذلك. هذه التركيبة للنسيج العمالي تجعل البحرين بلدا متميزا في الخليج بشكل واضح، اذ لم يعد غريبا ان يهاجر المواطنون البحرينيون الى البلدان الاخرى طلبا للرزق، وهناك من يعمل منهم حتى في جيوش الدول الاخرى بعد ان رفض آل خليفة توظيفهم في جيش البلاد، لأنها تعتبر هذا الجيش مؤسسة مهمتها الاساسية حماية حكم آل خليفة وليس حماية البلاد.

ان فقدان الثقة المتبادل بين الحكومة والشعب مشكلة حقيقية تزيدها سياسات الحكومة تكريسا. وبالتالي فمن الصعب تغير الوضع ايجابيا الا بسياسات حكومية جديدة تعطي الشعب اعتبارا ووزنا ودورا في ادارة شؤونه. وترى المعارضة، بكافة فئاتها، ان عودة العمل بدستور البلاد تعني بداية استيعاب حكومي لحقيقة الموقف الشعبي المصر على ذلك. وفي ضوء تجربة الشهور التسعة الماضية، فقد تقلصت الثقة بين الطرفين اكثر فاكثر. فالحكومة تعتبر الشعب عدوا لها وان مطالبته بعودة الدستور محاولة لتقويض الحكم الخليفي، وان هناك تحريضا خارجيا على التمرد والمطالبة بعودة الدستور. بينما يعتبر الشعب تصرفات الحكومة وسياساتها تعبيرا عن سياسة حكومية تلغي احتمالات التعايش وتتحرك بعيدا عن مستلزمات الثقة الحقيقية. فحكومة تسعى للتعايش مع شعبها لا تنتهج النهج العدواني الذي انتهجته حكومة آل خليفة. فحينما تسيل الدماء بدون حدود وتنتهك الحرمات وتهتك الاعراض ويبعد المواطنون عن ارضهم ويعتقل الابرياء بدون جرم او خطيئة، عندما يحدث ذلك لا يعود هناك مجال للحديث عن تعايش مشترك، بل يعبر عن حالة مفاصلة كاملة بين الطرفين وقطيعة من الصعب تجاوزها وعداء شبيه بعداء الفرقاء في الحروب.

من هنا فعندما تطلب الحكومة من قادة الانتفاضة العمل على اعادة الثقة بين الشعب والحكومة فان ذلك يعني ادراكها لتبعات سياساتها القمعية، وأنه ربما ادرك بعض افراد العائلة الحاكمة، ان كان هناك عاقل بينهم، بأن من الخطأ الكبير تجاهل سلبيات تلك السياسات. ولكن قادة الانتاضة يعلمون ان الحب لا يتحقق بقرار، وانهم لن يستطيعوا اقناع الشعب بحب الحكومة او الثقة فيها. واذا كانت هناك نية صادقة لذلك من قبل الحكومة فان عليها التراجع عن سياساتها بالافراج عن المعتقلين جميعا بدون قيد او شرط والتخلي عن اللغة الاعلامية الاستفزازية، وبدء حوار جدي مع اللجنة المشرفة على العريضة الشعبية. ولكن شيئا من ذلك لم يتحق بعد. صحيح ان عددا من المعتقلين قد تم الافراج عنه، ولكن لغة الاعلام الرسمي ما تزال استفزازية تتحدى مشاعر الشعب وتعتبره ضالا ومنحرفا وادار بايدي الاجانب. وحتى رئيس الوزراء الذي يفترض ان يكون دبلوماسيا في حديثه في هذه الظروف، استعمل لغة فيها الكثير من التحدي والاستفزاز لمشاعر الشعب في لقائه بوسائل الاعلام المحلية الشهر الماضي، واطلق تصريحات من شانها ابقاء القطيعة قائمة.

● اصدرت منظمة العفو الدولية تقريرها الكبير حول انتهاكات حقوق الانسان في البحرين وذلك في ٢٦ سبتمبر ١٩٩٥. واصدرت معه فيلم فيديو مصورا يحمل آثار التعذيب على اجساد الشهداء، ويعكس جوانب من المظاهرات الجماهيرية التي عمت البلاد على مدى الشهور التسعة الماضية. واعتبرت التقرير وثيقة تاريخية تدين حكومة البحرين بشكل قاطع خصوصا وانها لم تفعل شيئا ازاء المطالبة بالتحقيق في عمليات القتل والتعذيب التي تعرض لها المواطنون العزل. وكان هناك اقبال شديد على التقرير حيث بثت خبر صدوره وكالات الانباء الدولية ومحطات الاذاعة والتليفزيون العالمية، وتابع شعب البحرين تلك الاخبار اولا باول. واجريت مقابلات مع رموز المعارضة البحرينية في الخارج. وقامت المعارضة بتوزيع التقرير الدامغ على الشخصيات المهتمة بالشأن البحريني، فيما فشل سفراء حكومة البحرين في طرح اي رأي حول الموضوع. (انظر ص ٣)

وفي اليوم نفسه وقف عدد كبير من اعضاء منظمة العفو الدولية والمتعاطفين معهم امام مبنى سفارة البحرين بواشنطن، مطالبين بالتحقيق في عمليات القتل والتعذيب، وهي اول مظاهرة يقوم بها مواطنون غير بحرينيين في عاصمة غربية احتجاجا على سياسات حكومة البحرين القمعية ضد مواطنيها.

● بعد ستة شهور على اعتقاله، افرجت السلطات الامنية في البحرين عن الشيخ عبد الامير الجمري ومعه عدد من المواطنين، في اطار الاتفاق الذي تم بين قادة الانتفاضة المعتقلين وممثلي الحكومة وفي مقدمتهم ايان هندرسون. وكان يفترض اطلاق الشيخ ابي جميل في ٣٠ سبتمبر الا ان الحكومة حاولت مفاجأة الشارع البحريني بتقديم عملية الاطلاق لتفويت الفرصة على التجمعات العملاقة لاستقبال الشيخ الجمري، كما حصل لدى اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين في مطلع الشهر. وكان الاستاذ عبد الوهاب قد اطلق سراحه في ٨ سبتمبر ومعه ١٥٠ آخرون. وافرج عن الشيخ الجمري ومعه ٧٢ من المعتقلين على ان يكتمل الافراج عن السجناء مع نهاية الشهر. ولم تتوفر معلومات كافية بعد عن مدى التزام الحكومة باطلاق سراح بقية السجناء.

● استمرت الفعاليات الشعبية خلال الشهر متمثلة في الندوات المشتركة التي عقدها قادة الانتفاضة الذين افرج عنهم في الاسابيع الاخيرة. ودارت موضيع الندوات حول مستقبل الحركة الشعبية في البحرين ومدى استعداد الحكومة للموافقة على اعادة العمل بدستور البلاد والسماع غير المشروط بعودة المنفيين والغاء قانون امن الدولة. وكان هناك تفاعل شعبي واسع مع هذا المشروع المتطور من الحوار الذي فرضته الامة بدماء شبابها وعناء شاباتها. ويتوقع استمرار تسييس الشارع البحريني بشكل يؤدي في النهاية الى حمل الحكومة على اعادة العمل بدستور البلاد المعلق منذ عشرين عاما.

● ارسلت حكومة البحرين وفدا مكونا من نساء من العائلة الحاكمة ومعهن اخريات من الموظفات الحكوميات لحضور مؤتمر المرأة في بكين. وقد فشل الوفد الرسمي في اقناع احد من الحاضرين بسياسات حكومة البحرين تجاه المرأة خصوصا في ضوء الاجراءات التعسفية التي اتخذت بحق النساء اللاتي وقعن العريضة المطالبة بعودة العمل بدستور البلاد. وحضرت الدكتورة منيرة فخرو مؤتمر المرأة ممثلة عن التيار الشعبي في البحرين، الامر الذي ازعج الحكومة وخلق ارباكا في صفوفها. وقد استقبلت الدكتورة منيرة بحفاوة من قبل المنظمات غير الحكومية التي حضرت مؤتمر بكين.

● تستعد المعارضة البحرينية لاحياء ذكرى الشهداء الذين سقطوا في الانتفاضة المباركة على مدى الشهور التسعة الماضية ببرنامج عمل حافل يحتوي على محاضرات وندوات ومؤتمرات صحافية. ويتوقع ان يحدد السادس عشر من ديسمبر يوما للشهداء حيث دخلت الانتفاضة الشعبية في ذلك اليوم من العام الماضي مرحلة متقدمة تمثلت بانتشارات المسيرات والمظاهرات في كل نواحي البلاد. وفي اليوم التالي استعملت قوات الشغب الذخيرة الحية وقتلت اول شهيدين وهما هاني الوسطي وهاني عباس خميس. ويتوقع ان تنطلق الانتفاضة في مرحلتها الثانية في ديسمبر المقبل فيما لو لم يشعر الشعب بجدية الحكومة في حوارها مع الشعب ممثلا في اللجنة الوطنية المشرفة على مشروع العريضة.

ويتوقع الكثير من المراقبين ان تكون الانتفاضة الثانية اخطر من الاولى لان الشعب اكتسب خبرات غير قليلة خلال تجربته الاولى.

مرحلة جديدة من العمل لعودة الدستور

كان التطور الاهم الشهر الماضي هو الافراج عن عدد من المعتقلين في اطار الاتفاق الذي أبرم بين الحكومة وقادة الانتفاضة، وبداية مرحلة جديدة من العمل الوطني المعتمد على النشاط السياسي المفتوح. وما يزال الوضع حذرا يتسم بالترقب وتبقى كل الاحتمالات واردة، فاما الانفراج السياسي على اساس اقرار الحكومة بعودة العمل بدستور البلاد المعلق منذ ٢٠ عاما، او عودة الاضطراب السياسي مجددا. وقد اعجب العالم بأداء قادة الانتفاضة الذين أثبتوا قدرتهم على ضبط الشارع البحريني وتوجيهه لما فيه المصلحة الوطنية العامة.

بدأت المرحلة الجديدة في البلاد باطلاق خمسة من قادة الانتفاضة في ١٩٩٥/٨/١٦ مع ١٥٠ معتقلا من الموقوفين. واتضح بعد ذلك ان ثمة صفقة قد تم التوصل اليها بين قادة الانتفاضة ممثلين في فضيلة الشيخ عبد الامير الجمري والاستاذ عبد الوهاب حسين والاستاذ حسن مشيمع والشيخ خليل سلطان والشيخ حسن سلطان وممثلي الحكومة وفي مقدمتهم المدير العام للامن العام، ايان هندرسون ووزير الداخلية، الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة. وقد استمرت الاجتماعات بين الطرفين اربعة شهور كاملة وانتقلت من سجن لآخر حسب تواجد قادة الانتفاضة. فعقدت اجتماعات في منطقة سافرة جنوبي البلاد وفي سجن القلعة وفي منطقة الحوض الجاف، واحيانا بمقر وزارة الداخلية. وحسب قول قادة الانتفاضة، فقد كانت المفاوضات شاقة ومتداخلة، خصوصا وان الطرف الحكومي لم يكن يعرف ما يريد، وكان غير واضح من الذي يتخذ القرار، اهو ايان هندرسون أم رئيس الوزراء ام مجلس العائلة. ولذلك فكثيرا ما تأجلت القرارات والمناقشات اما بسبب مرض رئيس الوزراء او سفر هندرسون. وفيما كان الجانب الشعبي واضحا في مطالبه، كان الطرف الآخر مشوش الافكار، فهو لا يريد الاعتراف بالطرف الشعبي ولا يقر بوجود تفاوض، ولا يريد تقديم تنازلات. وبالرغم من بدء المفاوضات في منتصف شهر ابريل الماضي، فقد كانت الحكومة تراهن على خيار الحسم الامني والعسكري، ولم تتراجع عن ذلك الا بعد ان اقتنعت بفشلها في هذا الجانب، حيث لم ينتج عن ذلك الا المزيد من الاصرار الشعبي على المواجهة، وسقوط المزيد من الضحايا، وتفاقم الشجب الدولي لسياسات آل خليفة. ولم يكن هناك ما يشير الى ان هناك تراجعا في الموقف الشعبي بل على العكس من ذلك. كان التوجه العام يميل الى التصعيد في المواجهة وتطوير اساليب الرد على القمع الحكومي.

كانت الحكومة، كما اسلفنا، في موقع حرج، خصوصا وان ضبط الأمن في البلاد لم يكن بايدي مواطنين، بل كان وفق سياسات يضعها اجنبي هو ايان هندرسون، ولم يكن العاملون معه من البحرينيين مثل عادل فليفل وخالد المعاودة الا موظفين ينفذون سياساته ويفرضون أنفسهم من خلال حبهم للتعذيب والقتل. ولا يمكن استمرار هذا الوضع فترة اطول، خصوصا وان تسعة شهور كاملة مرت على انفجار الوضع وهو آخذ في التصاعد. وكان الانزعاج الدولي آخذا في التصاعد، بعد ان اخفقت سياسات آل خليفة في الداخل والخارج في ضمان استمرار موقف الاصدقاء الداعم لسياساتها (فيما عدا السعودية). ويكفي ان ثماني منظمات دولية طرحت على الامم المتحدة وضع البحرين على قائمة الدول المنتهكة لحقوق الانسان واقترحت وضعها تحت الرقابة. ولم يستطع الامريكيون والبريطانيون، وهم اكثر المدافعين عن نظام آل خليفة الاستمرار في الدعم المطلق، خصوصا وان اصواتا كثيرة من الكونجرس والبرلمان البريطاني كانت قد بدأت في الظهور والاحتجاج على دعم سياسة الأرهاب التي انتهجها آل خليفة ضد المواطنين.

امام هذه الحقائق لم تجد الحكومة مجالا لرفض مبادرة قادة الانتفاضة. وعقد هندرسون معهم جلسات طويلة، وتراوحت لهجته بين الترحيب الحذر والتهديد احيانا بوقف المفاوضات، والايحاء احيانا اخرى بأنه مستعد لارتكاب المزيد من الحماقات بحق الشعب فيما لو استمرت التظاهرات والاحتجاجات. ومع ذلك كان واضحا لدى قادة الانتفاضة ان الحضور الشعبي المستمر في الساحة السياسية اصبح عاملا مهما لا تستطيع الحكومة تجاهله او التقليل من شأنه. ومع ازدياد اعداد المعتقلين وتبلور الموقف الشعبي بشكل ازعج الحكومة كثيرا، وتصاعد النقمة، وفشل التغيير الوزاري في اقناع احد بجدية الحكومة في التصدي الواقعي لتحديات الانتفاضة، وتراجع الوضع الاقتصادي، وبداية هجرة رؤوس الاموال الى الخارج، وتفاقم المشاكل الحدودية مع قطر، ازاء كل تلك الحقائق اضطرت الحكومة، مكرهة، للتسليم بضرورة التوصل الى حل للازمة، وسعت، وما تزال تسعى، لطرح المبادرة بشكل لا يوحي بضعفها، ولكنها اخفقت حتى في هذه النقطة.

المسألة الاساسية هنا هي أن على حكومة البحرين ان تدرك ان سياسات القمع لا تمثل حلا لازمة سياسية استمرت عشرين عاما، وان هذه السياسات من شأنها تكريس الازمة بل وتصعيدها. فاذا كانت المطالب الشعبية مقتصرة على اعادة العمل بالدستور والغاء قانون امن الدولة فان استمرار الازمة سوف يؤدي الى المطالبة باسقاط النظام بأية وسيلة. وفعلا بدأت في الشهور الاخيرة مؤشرات للنزوع باتجاه الحسم العسكري ووزعت منشورات خطيرة تشير الى احتمال التصعيد نحو اسقاط النظام. صحيح ان الكثيرين يقولون ان الوضع لا يسمح باسقاط نظام آل خليفة، ولكن حركات التغيير تبدأ عادة بطرح ما يبدو غير ممكن ليصبح بعد ذلك أمرا ممكنا. هذا التغير في الساحة الداخلية في البحرين اقنع اصدقاء آل خليفة، على ما يبدو، بعدم جدوى الاستمرار في المكابرة، وان من مصلحتهم، ومصلحة الغرب كذلك، عدم رفض مبدأ الحوار مع الشعب. ويستسخف السياسيون والاعلاميون مقولة ان مجلس الامير مفتوح للمواطنين وان من يريد حلا لمشكلته فما عليه الا ان يتقدم بها الى الامير في مجلسه. غير ان المطلوب هو ان لا يكون الحكم مطلقا للامير او غيره وان مطالب الشعب تهدف لتغيير هذا الواقع بتحويله الى حالة سياسية تعتمد وجود المؤسسات وتقوم على اساس القانون. ولا يريد المواطنون «منحا أميرية» بل «حقوقا دستورية»، والمطالبة بالدستور تهدف اساسا الى تحول الوضع القائم على اساس قوة الشخص الى وضع تكون قوة القانون فيه هي الاساس في التعامل. ويريد المواطنون ان تحل قضاياهم بعيدا عن التدخلات والواسطات، كما هو الحال عليه الآن. يضاف الى ذلك ان الامير عادة لا يريد ان يسمع الا ما يعجبه، ولا يستمع الى ما لا يعجبه. وكثيرا ما ابدى صدودا واضحا عندما طرح عليه بعض المواطنين والشخصيات المرموقة من غير البحرينيين مسألة اعادة العمل بالدستور، فالامير لا يتجاوب مع كل ما يطرح عليه، بل ينتقي منه ما يلائم ذوقه، وبالتالي فان مقولة ان مجلس الامير مفتوح للمواطنين ادعاء قديم عفى عليه الزمن وتجاوزه الشعب. ومن المؤاخذات على مجلس الشورى ان اقصى ما يستطيع عمله هو تقديم «توصية برغبة» وللحكومة ان تأخذ ما يراه او ترفضه. وفي العادة فان لرئيس الوزراء آراءه ومواقفه ولا يريد ان يسمع من المجلس ما لا يوافقها.

بعد اطلاق الدفعة الاولى من المعتقلين، حسب الاتفاق، بدا واضحا ان الحكومة في وضع حرج جدا، فهي لا تريد الاعتراف بوجود الاتفاق ولا تريد ان تقول انها ترفض الحوار، كما لا تريد ان ينفجر الوضع مجددا. وقد وثقت المعارضة بنود الاتفاق في بيانات ومؤتمرات صحافية واكدت وجود الاتفاق وطالبت بتطبيق بنوده. فبالاضافة للمرحلة الاولى التي نفذتها الحكومة حسب الاتفاق والتي قام قادة الانتفاضة حسب بنودها ايضا، بتهدئة الوضع وانهاء المسيرات والتظاهرات، واثبتوا قدرتهم على ادارة الشارع بشكل لم تستطع الحكومة تحقيقه على مدة تسعة شهور من القمع، كان الشعب ينتظر تنفيذ المرحلة الثانية من اطلاق السجناء. وقد سعت الحكومة للتشويش على مصداقية المعارضة بانكار وجود اتفاق مع قادة الانتفاضة. فصرح وزير الاعلام مرتين بعدم وجود اي اتفاق مع المعارضة وان اطلاق سراح السجناء انما هو «بمكرمة أميرية لتوفير الفرصة لهم للعودة الى جادة الطريق». ولكن هندرسون تظاهر بالانزعاج من تصريحات الوزير امام قادة الانتفاضة الذين عبروا عن انزعاجهم من تلك التصريحات وهددوا بالانسحاب من المفاوضات. ثم صرح رئيس الوزراء امام الصحافة المحلية مكررا اتهاماته للمعارضة وان الانتفاضة تمت بتحريض من الخارج. واعتبرت تلك التصريحات غير ذات شأن لأنها لا تمت الى الواقع بصلة. ويبدو ان الحكومة تخرج من ورطة وتقع في اخرى بسبب اصرارها على عدم تلبية المطالب الشعبية، والمحصلة ان تصريحاتها جعلتها تبدو مهزوزة ومتأرجحة وغير قوية في مواقفها امام الاعلام العالمي. بينما امسكت المعارضة بزمام المبادرة واستمرت في اعلان كل شيء امام الملأ، بينما تفضل الحكومة ابقاء تفصيلات المبادرة والمفاوضات طي الكتمان. وقد التزم قادة الانتفاضة امام الجماهير باطلاعهم على كل ما يتم التطرق اليه في المفاوضات، واصبح كل منهم يخطب في الناس يوم الجمعة او في الندوات الجماهيرية ويطلعهم على ما تم التوصل اليه في جلسات التفاوض.

وعندما حان موعد تنفيذ المرحلة الثانية من اطلاق السجناء (٩٥/٩/٧) حاولت السلطات مرة اخرى التحرش بمشاعر المواطنين، وقامت بتصرفات كادت تفجر الاوضاع مجددا. وكان المواطنون قد استعدوا لاطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين، الرجل الثاني (بعد الشيخ الجمري) في مشروع العريضة وقيادة الانتفاضة، فوضعت الزينات في منطقة النويدرات التي يعيش فيها واعدت مظاهر كبيرة لاستقباله. اما أهالي المنطقة فقد استعدوا لاستقبال الآلاف من المواطنين المتوقع قدومهم يوم اطلاق سراحه، وربطوا خرافا كثيرة على ابواب بيوتهم للتعبير عن استعدادهم لذلك اليوم والتزامهم بكرم الضيافة التي اعتبروها مسؤولية جماعية لاهالي المنطقة. ووزعت منشورات عديدة قبل ايام من اطلاق سراحه معتبرة اياه بطلا كبيرا يستحق الاكبار والاجلال، على عكس الموقف الشعبي من رموز السلطة التي اعتبروها مسؤولة عن القمع والاستبداد. وامتلأت الجدران بالشعارات الترحيبية، واعدت برامج الندوات والاحتفالات، الامر الذي ازعج الحكومة واعتبرت ذلك تحديا لسلطتها واخلالا بالامن والاستقرار. وقد قال احد الدبلوماسيين الغربيين الذي يراقبون الوضع عن كثب في مجلس خاص: «عجيب امر هذه الحكومة التي تمنع مواطنيها من الخروج في الشوارع لتشييع قتلاها، او تأبين اربعينيتهم. وترفض ان يخرجوا للتعبير عن فرحتهم مستقبلين ابطالهم. ممنوع عليك في البحرين ان تفرح علنا او تحزن علنا!».

وفي يوم الخميس ٧ سبتمبر، انهالت الجماهير على منطقة النويدرات لاستقبال الاستاذ عبد الوهاب حسين، فيما كانت عائلات المعتقلين تنتظر ابناءها بفارغ من الصبر. وبلغ عدد الذين تجمهروا في منطقة النويدرات ذلك اليوم حوالي ١٥ الف انسان بين رجل وامرأة. وكانت هناك هتافات حماسية تعبر عن مشاعر المواطنين تجاه قادتهم. ومع حلول المساء كانت المشاعر تتصاعد لان الاستاذ عبد الوهاب لم يفرج عنه. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر استدعت وزارة الداخلية قادة الانتفاضة الذين افرج عنهم في ١٩٩٥/٨/١٦ وعقدت اجتماعا معهم حتى التاسعة مساء. في تلك الاثناء كان الموقف يقترب من الانفجار. وعاد القادة الى الناس آنذاك واطلعوهم على موقف الحكومة وقالوا ان هندرسون ابدى انزعاجه الكبير من حالة الاستقبال الجماهيرية التي اعدت للاستاذ عبد الوهاب حسين وان ذلك يهدد أمن البلاد. وقال القادة انهم اصروا على اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب مع الـ١٥٠ الآخرين، وفي النهاية وعدهم هندرسون بانه سيطلق في اليوم التالي (الجمعة) وان الآخرين سوف يطلقون على دفعتين ابتداء من يوم السبت ١٩٩٥/٩/٩. استقبل خطاب الاستاذ حسن مشيمع ذاك بالهتافات والتكبيرات حيث طلب منهم الهدوء والانتظار حتى اليوم التالي.

ومنذ الصباح الباكر من يوم الجمعة ٨ سبتمبر توجهت الجماهير الى النويدرات بانتظار اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين. ومع حلول العصر كان عدد المتواجدين في المنطقة يتجاوز الـ٢٥ الفا فيما كان التوتر يسود الموقف بسبب التأجيل المتواصل لاطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين. في هذه الاثناء كانت الجماهير تنتشر في شوارع المنطقة وازقتها رافعة شعارات المطالبة بعودة الدستور والغاء قانون أمن الدولة. ومع حلول الساعة السادسة وصل قادة الانتفاضة واخبروا الجماهير ان الاستاذ عبد الوهاب قادم وراءهم فارتفعت اصوات الناس بالتكبير والشعارات وتوجهوا نحو الشارع العام. وتزامن مع ذلك هجوم شرس من قبل قوات الشغب بالغازات المسيلة للدموع والرصاص المطاطي على الجماهير في عملية استفزاز غير مبررة. في هذه اللحظات وصل الاستاذ عبد الوهاب في سيارة خاصة وحيا الجماهير التي توافدت نحو مسجد المنطقة. واصطف الناس في طوابير طويلة للسلام على الاستاذ والدعاء له بالتوفيق والسداد. وانتظر المواطنون ساعات طويلة حتى الساعات الاولى من الصباح للوصول اليه. وتجمع الناس مرة اخرى في صباح اليوم التالي، وخصوصا اولئك الذين لم يستطيعوا الوصول اليه في الليلة السابقة. وكان مشهد الجماهير وهي تحيط بقادتها مثيرا للعواطف ومهيجا للاشجان ودافعا للحماس في الوقت نفسه.

في ذلك اليوم اجتمع قادة الانتفاضة مع هندرسون الذي بدا منزعجا فوق العادة وغاضبا، وقال لهم ان «القيادة السياسية قررت وقف اطلاق السجناء» واعطى اربعة اسباب لذلك: أولها الاستقبال الحاشد للاستاذ عبد الوهاب حسين

البحرين التي رحبت باطلاق سراح عبد الوهاب حسين واصرت فيه على المطالب الشعبية وبيان صادر عن الشيخ حمزة الديري (احد المبعدين الثلاثة) ونشوب حريق في منطقة باربار اعتبرته الحكومة مخلا بشروط الاتفاق. واستمر النقاش طويلا بين الطرفين. فيما كانت الجماهير مجتمعة في عدد من المساجد. وعندما رجع القادة واخبروا الناس بقرار الحكومة تجميد عملية اطلاق سراح السجناء، ثار المواطنون وكادوا يخرجون الى الشوارع في انتفاضة جديدة، ولكن القادة طلبوا منهم التزام الهدوء حتى اليوم التالي لاستكمال المفاوضات مع هندرسون. وعندما اجتمع الطرفان يوم الاحد ١٩٩٥/٩/١٠ تراجعت الحكومة عن قرارها واخبرت القادة انها ستبدأ اطلاق سراح المجموعة فورا. وبدأ ذلك بالفعل بعد أن أدركت سلطات الامن ان مخاطر الاخلال ببنود الاتفاق سوف تكون كبيرة. وهكذا سجل الشعب انتصارا آخر على قوى القمع والاستبداد، واطلق سراح العديد من المواطنين. وتجدر الاشارة الى ان الحكومة اصبحت تطلق سراح عدد من المواطنين الذين لم يتفق عليهم وذلك لكي لا يبدو عدد السجناء كبيرا. فعندما يتفق على اطلاق ١٥٠ شخصا. تطلق عددا آخر بين الدفعات تحاشيا لمعرفة عدد المعتقلين الذين تجاوزوا ٢٠٠٠ معتقل.

وقد قام الشعب باستعدادات اكبر لاستقبال شيخ الانتفاضة. الشيخ عبد الامير الجمري الذي كان مقررا اطلاق سراحه مع ٥٠٠ ـ ٦٠٠ معتقل في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥. وشملت الاستعدادات تزيين كافة مناطق البلاد الواقعة على شارع البديع وكتابة الشعارات على الجدران مرحبة بالشيخ ابي جميل. الا ان الحكومة فاجأت الشعب باطلاق سراح الشيخ الجمري صباح الاثنين ٢٥ سبتمبر املة ان لا يكون هناك استقبال كبير لان المواطنين يكونون آنذاك في اعمالهم. ولكن خطتها تلك لم تنجح. فقد انتشر خبر اطلاق سراح الشيخ بسرعة مذهلة وهرع الناس من كل ناحية لاستقباله. وقرر الشيخ مخاطبة الجماهير الساعة الرابعة من عصر ذلك اليوم. وشهدت المنطقة حضورا شعبيا لم تشهد مثيلا له في تاريخها كله، حيث اغلقت الشوارع وغصت الطرقات بالمواطنين فيما نصبت منصة لخطبة الشيخ. وكانت اصوات الجماهير وهتافاتها تملأ الجو وكان سائقو السيارات يستعملون اجراس سياراتهم تعبيرا عن فرحتهم. وجاء خطاب الشيخ الجمري مؤكدا المطالب الدستورية ومعتبرا مشروع العريضة الشعبية هو الاساس في التحرك المقبل، ومؤكدا الطبيعة السلمية لهذا الشعب. هذا في الوقت الذي بدأت فيه ملامح المرحلة المقبلة تتبلور شيئا فشيئا. فقد بدأت الندوات السياسية على نطاق واسع وشارك فيها شخصيات اسلامية ووطنية عديدة، وعادت الحياة مجددا الى مشروع العريضة التي جسدت الاجماع الوطني. وسوف تستمر المطالبة بعودة الدستور من الآن وحتى ديسمبر ١٩٩٥.

منظمة العفو الدولية تستنكر الانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان وتطالب بالتحقيق فيها

حثت منظمة العفو الدولية حكومة البحرين اليوم (٢٦ سبتمبر ١٩٩٥) على التحقيق في ما ارتكبته قوات الامن الحكومية من انتهاكات فادحة لحقوق الانسان منذ ديسمبر/كانون الاول ١٩٩٤، ردا على المظاهرات الجماهيرية المطالبة بعودة الحقوق الديمقراطية.

ففي تقرير يقع في ٥٠ صفحة صدر اليوم تصف المنظمة الاعتقالات الجماعية للمتظاهرين من دون محاكمة، واحكام الادانة التي صدرت في اعقاب محاكمات جائرة الى ابعد آماد الجور، ودأب السلطات على اخضاع المعتقلين لصنوف التعذيب المنظم، وازهاق ارواح المدنيين العزل، ونفي المواطنين البحرينيين من وطنهم قسرا.

وتقول منظمة العفو الدولية: «ان الوحشية التي اخمدت بها المظاهرات قد اوقعت البلاد في ازمة لحقوق الانسان». ولم يتم التحقيق في اي من الجرائم التي ارتكبت على مدى الشهور العشرة الماضية، ولم يقدم احد الى ساحة العدالة.

ومنذ ديسمبر/كانون الاول الماضي قامت قوات الامن وقوات مكافحة الشغب بقتل ما لا يقل عن ١٠ من المتظاهرين العزل مستخدمة في ذلك الذخيرة الحية؛ وكان من بين الضحايا تلميذ في السابعة عشرة من عمره يدعى عبد الحميد قاسم. وفي عدة حوادث اخرى تعمدت قوات الامن القاء عبوات الغاز المسيل للدموع في اماكن مغلقة، ومنعت سيارات الاسعاف من نقل الجرحى الى المستشفى؛ كما هدد الاطباء بالفصل اذا قاموا بمعالجة المصابين.

وقد اندلعت مظاهرات واسعة النطاق في البحرين احتجاجا على القبض على الشيخ علي سلمان، وهو عالم دين بارز ذو شعبية كبيرة، في ديسمبر/ كانون الاول، وقد تزامن ذلك مع توزيع عريضة وقع عليها زهاء ٢٥ الف شخص، تطلب من الامير السماح بعودة المجلس الوطني (الذي حل عام ١٩٧٥) تمشيا مع دستور البلاد.

ولقي شخصان حتفهما اثناء اعتقالهما، من بينهما سعيد الاسكافي البالغ من العمر ١٦ عاما، كما عذب عشرات آخرون اثناء استجوابهم. ومن المحتمل ان يكون عدد المقبوض عليهم نحو ٤٠٠٠ شخص، ولئن كان المئات منهم قد افرج عنهم في وقت لاحق، فما يزال عدد غير معروف منهم في السجن. ولأول مرة استهدفت ايضا النساء وتلميذات المدارس، واحتجز بعضهن في عزلة عن العالم الخارجي بدون تهمة ولا محاكمة. والقي القبض على عشرات من الاطفال، بعضهم لا تتجاوز اعمارهم ١٠ سنوات، واسيئت معاملتهم اثناء اعتقالهم.

وتقول المنظمة المدافعة عن حقوق الانسان: «لقد وجهت تهم من قبيل التحريض على كراهية الحكومة لاطفال تقل اعمارهم عن ١٥ عاما؛ بل وحكم على بعضهم بالسجن ١٠ سنوات».

هذا، وقد انكرت حكومة البحرين نطاق الانتهاكات المرتكبة باسمها، وحاولت تبرير سياسة استخدام القوة في قمع المظاهرات بالاشارة الى اعمال العنف التي زعم ان المتظاهرين قد ارتكبوها، بما في ذلك قتل ثلاثة من مسؤولي الشرطة، وانحت باللائمة على «عناصر متطرفة تؤيدها جهات اجنبية». كما رفضت الحكومة تقديم اي معلومات عن هويات المقبوض عليهم او حتى المفرج عنهم، وعن اماكن احتجازهم. ومما يذكر ان الاغلبية العظمى منهم محتجزون في عزلة عن العالم الخارجي، حيث لا يسمح لهم بالاتصال بذويهم ولا بالمحامين او الاطباء.

وتقول منظمة العفو الدولية: «لقد اكتظت السجون ومراكز الشرطة بالمعتقلين حتى اضطرت السلطات الى احتجاز الاشخاص في مراكز اعتقال مؤقتة».

وقد ادين حتى الآن نحو ١٥٠ معتقلا ـ من الكبار والاطفال ـ بتهم تتعلق بالمظاهرات، وصدرت عليهم احكام بالسجن تتروح مددها بين ستة شهور والسجن المؤبد، وحكم على احد المتهمين بالاعدام بتهمة القتل العمد مع سبق الاصرار.

وحوكم ما لا يقل عن ٨٠ معتقلا محاكمات سرية فادحة الجور امام محكمة أمن الدولة التي عهد عنها ادانتها للمتهمين استنادا الى «اعترافات» لا تؤيدها اي ادلة، وهي اعترافات عادة ما تنتزع من المتهمين تحت وطأة التعذيب، وقد حرم جميع المتهمين من الاتصال بمحاميهم حتى يوم المحاكمة.

وتقول منظمة العفو الدولية: «من المحتمل ان تكون التصريحات التي ادلت بها السلطات عن صحة التهم الموجهة لبعض المتهمين قبل بدء المحاكمة قد قوضت تقويضا خطيرا من حقهم في ان تفترض براءتهم ما لم يقم الدليل الكافي على الجرم المنسوب اليهم».

هذا، وقد منعت الحكومة منظمة العفو الدولية من زيارة البلاد؛ اذ قالت المنظمة: «لقد حاولنا مرارا ارسال وفد الى البحرين للتحقيق في انباء وبلاغات انتهاكات حقوق الانسان، ولاجراء مباحثات مع المسؤولين، ولكن دون جدوى. ولم ترد السلطات قط على الآلاف من المناشدات التي ارسلها اعضاؤنا من اجل الضحايا».

ارفعوا رؤوسكم، لا نالكم ضيم

بريق من وهج الشهيد وعبق الشهادة يستحثكم المسير خفافا وثقالا، اذا لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى. ليس درب في الحياة الا وهو محفوف بمكاره ومخاوف، ودرب التضحية، درب الكرامة هو احمد السبل لنيل المرام وتحقيق العزة هنا وهناك.

لقد نزفوا دماءهم الطاهرة ليغسلوا درن الذل والخنوع عنا فحقهم علينا ان نحث المسير ونعض على النواجذ قدما قدما حتى الغاية المكتوبة والقدر المحتوم {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون}.

الايمان وحياة الكرامة صنوان لا يفترقان، فلا ترتضوا لأنفسكم بعد اليوم ساعة هوان ولا لحظة مهانة، فأنتم يا اتباع ابي الضيم (ع) اهلها ومعدنها، فلا تعطوهم قيادكم اعطاء الذليل ولا تقروا لهم اقرار العبيد.

لا والله وبعد الهتك والسفك والمحق والتشريد، لن يقر لنا قرار ولن يهنأ للطغاة عيش حتى يرضخوا مرغومين لمطالبنا العادلة وتطلعاتنا المشروعة. والدرب طويل والمسير عاثر وعسير، فيا ايها الشعب الكريم، ويا ايتها الامة المعطاءة المجاهدة اصبروا وصابروا ورابطوا، فما تحقق حتى الآن الا النزر اليسير. فلا تستغفلوا ولا تؤخذوا على حين غرة فالطغاة لا ذمة لهم ولا عهد مصون لديهم.

قد تكون هذه اللحظات وهذه الايام من اصعب ايام الانتفاضة المباركة والنهضة الميمونة.. فالحذر الحذر ان تستهويكم راحة او تطيب لكم دعة. فبعد اللتيا واللتي لن نعطي قيادنا اليوم لطغاة لا يألون في مؤمن الا ولا ذمة. حياة كرامة والا كنا للظالمين خصما وللمظلومين عونا ابدا ابدا حتى يأذن الله في امره. فطوبى لشهدائنا الابرار، وطوبى للمرابطين دفاعا عن الوطن المستباح والكرامة المهدورة والشرف المنتهك. اننا اعجز من ان نصف مقدار ابائكم، وعظم شموخكم، وسمو همكم وعلو نفوسكم. بخ بخ لكم يا فدائيي ارض الطفوف فلقد رفعتم الهامات وسطرتم الامجاد وكتبتم بدمائكم وآهاتكم تاريخا جديدا فاحتسبوا عند الله الاجر والغنم.

بلد صغير وقلب كبير وشعب ابي نبيل وطموح لا يحده حد ولا تكبله قيود، فنعم الرجال ونعم النساء انتم. وهنيئا لكم تلك المراتب التي اخذتموها من الطغاة وهم كارهون وانتزعتموها من الجبابرة وهم قالون.

لوددنا ان نكون معكم نقتسم الآهات والمسرات معا، نزور الشهداء الابرار وليوث الغابات الابطال زرافات زرافات، ذلك دين لهم علينا وواجب لا بد ان نؤديه. ان اقل ما يمكن ان نقدمه جميعا في حق الشهداء الابرار هو الاصرار على مطالبنا العادلة ومواصلة المسيرة نحو نيل الحرية والكرامة. ولا شيء اقل من ذلك يمكن قط ان يدخل السرور على ارواح الشهداء الاطهار الذين سقطوا برصاص الغدر الخليفي او سلموا ارواحهم البارئة تحت مباضع مرتزقة آل خليفة المستكبرين.

ان كل ما نريده هو دولة القانون وسيادة العدل والمساواة بين كافة ابناء شعب البحرين، وغير ذلك معناه اصرار قبيلة آل خليفة على نكران حق الشعب في ان يحيا حياة كريمة فقط لن يكون له موقع عند الناس ابدا. ان ما نطالب به معقول ومقبول من كل البشر كما انه ضرورة ملحة وحاجة ماسة وامنية عاجلة لا تقبل التسويف ولا المماطلة، هذا بالاضافة طبعا الى كونها ممكنة التحقيق وهذا ما يعطيها مصداقية اكبر واهمية اكثر.

ولنعلم جميعا اننا مسؤولون امام الله سبحانه وامام اجيالنا القادمة وامام التاريخ عن كل لحظة بل كل ثانية من الزمن نعيشها في ذل او هوان او نرضى ان نعيشها كذلك. ان الله سبحانه لا يقبل لنا ان نرضخ للطغاة او نستسلم للجبابرة وذلك لأن شخص المؤمن وشخصيته وكيانه ووجدانه وكرامته وعزته اعظم عند الله واكرم من ان يهان او يقهر او يذل او يقمع. وما اصرارنا على دولة القانون ودولة الانسان التي فيها يحترم الرجال والنساء الا من اجل رفع الحيف المستمر والقمع غير المبرر عن الشعب، وهذا لعمري لهدف حث عليه الاسلام وتبناه ائمتنا (ع) وقادتنا ودافعوا ونافحوا عنه دون هوادة.

فلنعاهد الله ورسوله على المضي قدما في سبيل تحقيق ما من شأنه ان يوطد لنا ولأبنائنا في وطننا المستباح حياة كريمة وعيشة مصونة يحفها العز ويغمرها الامان. وكل ذلك بعيد ما لم نحتكم الى عهد موثق مكتوب بين الشعب والحكومة حيث يتعهد الجميع التقيد به والالتزام ببنوده.

ان كل ما تحقق حتى الآن مطلوب ومرغوب ولكن ما لم نصل الى هدفنا، الا وهو اعادة العمل بدستور البلاد واحياء المجلس الوطني المنتخب، اي سيادة حكم القانون واضمحلال

يوميات الانتفاضة في شهر سبتمبر ١٩٩٥

٢ سبتمبر

● تسيطر على الاجواء الشعبية هذه الايام الاحاديث والنقاشات حول مدى استعداد حكومة البحرين لتنفيذ جانبها من الاتفاق الذي توصلت اليه مع قادة الانتفاضة الشهر الماضي. ويسود الحذر البلاد حيث يمتزج الامل في تحقيق المطالب بالتشكيك في نوايا الحكومة، خصوصاً وانها لم تلزم نفسها بموعد زمني محدد للنظر في المطالب الشعبية التي في مقدمتها عودة العمل بالدستور والغاء قانون امن الدولة والسماح بعودة غير مشروطة للمنفيين البحرينيين. ويتحدث المواطنون عن ضرورة اقالة المدير العام للامن العام، ايان هندرسون، من منصبه وترحيله من البلاد باعتباره مسؤولا على وجه الخصوص عن تعذيب شباب البحرين حتى الموت وقتل بعضهم برصاص قوات الشغب في الانتفاضة الاخيرة.

وفيما ينتظر المواطنون خروج ١٥٠ من المعتقلين في السابع من هذا الشهر وفي مقدمتهم الشخصية المعروفة، الاستاذ عبد الوهاب حسين، تسود روح الحذر في اجواء البلاد، خصوصا وان الحكومة لم تعمل بعد على خلق اجواء الثقة المفقودة بينها وبين الشعب. فما يزال اعلامها الرسمي يكيل التهم للمواطنين ويعتبرهم مشاغبين، وما تزال الاعتقالات مستمرة وان كانت بمعدلات اقل، وما تزال سياسات الاستفزاز متبعة من قبل جهاز الامن. وقد انزعج الكثيرون من تصوير مجموعة من الاولاد المعتقلين وهم يكتبون الشعارات في منطقتي سماهيج والدراز الشهر الماضي فيما كانت الحكومة توحي بوجود حوار مع قادة الانتفاضة. كما انها بعثت باكثر من ٢٥ من عناصر جهاز الامن بامر مباشر من ايان هندرسون الى لندن للتشويش على نشاط المعارضة بمناسبة الذكرى العشرين لتعليق العمل بالدستور وحل المجلس الوطني. وحدثت مناوشات كلامية بين بعض المنفيين البحرينيين وعناصر المباحث في الهايد بارك، ولكن عملاء الحكومة كانوا ضعيفي الحجة والمنطق، وكان التعاطف العام مع قضية شعب البحرين سمة اساسية لمواقف الآخرين.

وعلى صعيد آخر، قامت حكومة البحرين بارسال وفد نسائي كبير الى مؤتمر الامم المتحدة حول المرأة في بكين، بعد ان قامت المعارضة في الشهور الماضية بنشاط كبير للترويج لقضية المرأة البحرينية التي اعتقلت وعذبت واطلق عليها النار في المظاهرات وجرحت ونفيت من البلاد. وبالاضافة الى الوفد الرسمي، قامت حكومة البحرين بارسال وفد آخر اطلقت عليه اسم «الوفد الشعبي» ويتكون من خمس نساء اربع منهن من آل خليفة! اما على صعيد الشعب، فهناك بعض الشخصيات النسائية المشاركة في المؤتمر في مقدمتهن الدكتورة منيرة فخرو الاستاذة بجامعة البحرين واحدى المتصدرات للعريضة النسائية التي قدمتها نساء البحرين الى امير البلاد في ابريل الماضي..

ومن جانب آخر، استمرت حكومة آل خليفة في سياسة الابعاد. فرفضت في ٢٩ اغسطس السماح للسيد محمد سلمان محمد جواد وزوجته واطفاله بدخول البلاد لدى عودة العائلة من سوريا. وقامت بابعادها الى ابو ظبي. الا ان السلطات هناك رفضت السماح للعائلة بالدخول وارجعتها الى البحرين. وبعدها قامت حكومة البحرين بابعاد العائلة الى دمشق، حيث تعرضت الى تحقيق مطول. وقد كرست هذه الحادثة شك المواطنين في مدى حسن نية العائلة الحاكمة في البحرين تجاه اي مصالحة وطنية. ويؤكد المطلعون على الامور ان هناك حالة قطيعة شبه كاملة بين المواطنين والحكومة بعد تجربة الشهور التسعة الماضية التي اظهرت الوجه البشع لسياسات آل خليفة بعد ان عمدوا الى القمع والقتل والتعذيب بدون حدود.

٨ سبتمبر

● تشهد البحرين هذا المساء بهجة وحضورا جماهيريا لم يسبق له مثيل باطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين بعد اعتقال دام ستة شهور تقريبا. وقد تجمع ما بين ١٥ و٢٠ الفا من المواطنين لاستقبال السجين ـ البطل وقد ساد التوتر اجواء البلاد منذ يوم امس عندما فشلت سلطات الامن في الافراج عن الاستاذ عبد الوهاب حسين و١٥٠ آخرين من المعتقلين حسب الاتفاق الذي تم بين قادة الانتفاضة والحكومة الشهر الماضي. وكان الطرفان قد اتفقا على اطلاق سراح السجناء في مقابل تهدئة الاوضاع، على ان يعقب ذلك بدء حوار جاد حول موضوع عودة الدستور واطلاق سراح السجناء المحكومين وعودة المنفيين. وقد رفضت الحكومة الاعتراف بوجود اتفاق من هذا النوع على الصعيد الاعلامي بسبب رفضها لمبدأين مهمين: الحوار والاعتراف بالآخر. بينما قامت المعارضة بالاعلان عن بنود الاتفاق في بيانات عديدة وفي مؤتمرها الصحافي الذي عقدته بمبنى البرلمان البريطاني في ٢٦ اغسطس الماضي. وفشلت الحكومة في اصدار بيان مكتوب ينفي وجود اتفاق مع قادة الانتفاضة الذين اثبتوا قدرتهم على اعادة الهدوء بالكلمة في خطبة واحدة بينما فشلت الحكومة في اسكات الشعب بالرصاص على مدى تسعة شهور.

وفيما قام خمسة من قادة الانتفاضة الذين افرج عنهم مع ١٥٠ آخرين في ١٦ اغسطس بتهدئة الاوضاع واثبتوا قدرتهم على قيادة الساحة فقد فشلت الحكومة في الوفاء بالتزامها طبقا للاتفاق. وحسب هذا الاتفاق فقد كان على الحكومة ان تطلق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين مع ١٥٠ آخرين يوم امس. واستبشر المواطنون وأعدوا مراسم استقبال هائلة في منطقة «نويدرات» التي يعيش فيها الاستاذ عبد الوهاب. ولكن الحكومة تراجعت في اللحظات الاخيرة واستدعت القادة الذين افرج عنهم سابقا واخبرتهم بانها لن تلتزم بجانبها من الاتفاق بسبب عدم تحمس حركة احرار البحرين وبقية الشخصيات المعارضة في الخارج للاتفاق بالرغم من ترحيبها باطلاق سراح المعتقلين. وفي اجتماع ضم القادة الخمسة والمدير العام للامن العام، ايان هندرسون، يوم الاربعاء الماضي حدثت مشادات كلامية بين الجانبين وتراجع الجانب الحكومي عن قرار اطلاق بقية السجناء، وهدد القادة الشعبيون بترك الامور الى المواطنين ليقرروا بشأنها ما يشاؤون. وخشيت السلطة من تفجر الوضع مجددا، فوافقت على الالتزام بموعد الاطلاق. وتراجعت مرة اخرى عن ذلك يوم امس عندما رأت ان الاستعدادات الشعبية الهائلة لاستقبال الاستاذ عبد الوهاب حسين تفوق ما تعدها الحكومة عادة لاستقبال الامير عندما يرجع من سفره. واستدعت القادة مساء امس واستمر النقاش بين الجانبين اكثر من اربع ساعات كادت تعصف بالهدوء النسبي في البلاد. هذا في الوقت الذي كانت الجماهير تملأ شوارع منطقة «نويدرات» وازقتها وتهدد بالتظاهر وانهاء حالة الهدوء التي سادت البلاد منذ منتصف الشهر الماضي. وفي الساعة التاسعة مساء رجع القادة وخطبوا في الناس واخبروهم عن المفاوضات التي تعثرت بسبب اصرار المعارضة في الخارج على تدوين الاتفاق وجدولة الحوار حول الدستور والمنفيين والسجناء المحكومين. واخبروا الجماهير بان سلطات الامن قررت تأجيل اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين حتى هذا اليوم واطلاق سراح المعتقلين حتى يوم غد. وقد انزعجت المعارضة والجماهير من هذا التصرف ورأوا فيه استمرارا لسياسة نقض العهود والاتفاقات التي تميزت بها سياسة آل خليفة. هذا التردد في الموقف الحكومي يرجعه البعض الى عدد من الامور منها وجود اختلافات شديدة في اوساط العائلة الحاكمة ومن جهة واخرى من النشاط الاعلامي للمعارضة التي كشفت موضوع الاتفاق للاعلام العالمي، بينما اصرت الحكومة على انكار وجود اي اتفاق.

ويبدو ان الامور في البحرين تتجه الى مزيد من التوتر والاضطراب. ففي الوقت الذي كان المواطنون يتوقعون فيه ان يطلق سراح السجناء كانت سلطات الامن مستمرة في اعتقال المواطنين الابرياء. فمنذ منتصف الشهر الماضي قامت بتصوير ثلاث مجموعات من المواطنين بعد ان اخذتهم الى المناطق التي يقطنونها وامرتهم بتمثيل ما تدعي انهم قاموا به مثل كتابة الشعارات على الجدران واشعال اطارات السيارات. وفي الوقت نفسه تمارس الحكومة سياسة اعلامية معادية للانتفاضة ومكرسة لتشويه سمعة قادتها. ويقوم جهاز الامن بدور كبير في هذا المجال. ومع ذلك فهناك اصرار شعبي على تحقيق عودة العمل بدستور البلاد مهما كلف الامر.

هذا في الوقت الذي تستعد فيه اللجنة القائمة على العريضة لطرحها على الشعب لجمع المزيد من التوقيعات، والاتصال بمكتب امير البلاد، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة للحصول على موعد لتقديمها اليه. وهناك اجماع وطني حول المطلب الدستوري، وفشلت الحكومة في سياساتها الرامية الى تمزيق الصف الوطني، واصبحت تواجه موقفا شعبيا ثابتا يزداد صلابة بمرور الوقت. وما تزال قضية فصل الآنسة عزيزة البسام وحصة الخميري تتفاعل في الخارج وتطرح في الاوساط الدولية. وهي الآن مطروحة امام مؤتمر بكين. وبالرغم من وجود وفد حكومي لهذا المؤتمر فقد فشل في الحصول على تعاطف من الوفود.

١٠ سبتمبر

● في تطور خطير للغاية تراجعت حكومة البحرين يوم امس عن الاتفاق الذي ابرمته مع قادة الانتفاضة الشهر الماضي، واوقفت عملية اطلاق السجناء السياسيين. وكان من المفترض، حسب الاتفاق ان تطلق سراح ١٥٠ شخصا يوم الخميس الماضي مع الاستاذ عبد الوهاب حسين، احد قادة الانتفاضة واحد الاشخاص الستة الذين تصدروا العريضة الشعبية التي وقع عليها ٢٥ الف مواطن. وقد اصبح الوضع في البلاد متوترا منذ يوم الخميس عندما اتضح ان الحكومة بدأت تتلكأ في احترام ما التزمت به في الاتفاق المذكور. وكانت حشود هائلة قد تجمعت في منطقة «نويدرات» الواقعة على بعد عشرة كيلومترات جنوبي المنامة، منذ صباح الخميس الماضي، لاستقبال الاستاذ عبد الوهاب حسين، ولكن سلطات الامن قررت بعد اجتماعها مع قادة الانتفاضة مساء ذلك اليوم تأجيل اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حتى اليوم التالي (الجمعة) واطلاق الـ ١٥٠ على دفعتين ابتداء من يوم السبت (امس). وتجمهر اكثر من عشرين الفا من المواطنين في الصباح الباكر من يوم الجمعة، واستمرت سلطات الامن في تأجيل اطلاق الاستاذ عبد الوهاب حسين حتى الساعة السادسة مساء. وفيما كانت الجماهير متوجهة الى الشارع العام لاستقباله بعد ان قضت يوما طويلا في الانتظار في شوارع القرية، فوجيء الجميع بقوات الشغب تعتدي على المواطنين بدون اي مبرر، مستعملة الغازات المسيلة للدموع والرصاص المطاطي. وحسب بعض شهود العيان فقد سقط عدد من الجرحى في هذا الاعتداء الاستفزازي. ومع ذلك فقد استمرت الجماهير تستقبل الاستاذ عبد الوهاب حسين واصطفت في طوابير طويلة للسلام عليه حتى ساعة متأخرة من مساء الجمعة. واستمرت الزيارات طوال يوم امس في تظاهرة اجتماعية شعبية لم يشهد لها مثيل في البحرين.

وكان مفترضا، حسب وعود المدير العام للامن العام، ايان هندرسون، اطلاق الدفعة الاولى من الـ ١٥٠ يوم امس، ولكن هندرسون اخبر قادة الانتفاضة في اجتماع يوزارة الداخلية استمر بضع ساعات عصر امس بانه قرر وقف عملية الاطلاق وتجميد الاتفاق الذي تم التوصل اليه الشهر الماضي مع قادة الانتفاضة. وقد تحدث الاستاذ عبد الوهاحسين مساء امس الى الجماهير الغاضبة واخبرهم عن الاجتماع المتوتر مع هندرسون واخبرهم بقراره وقف الافراجات في الوقت الحاضر، وتنصله من الاتفاق المبرم. وادعى الضابط البريطاني بان اربعة امور دفعته لاتخاذ ذلك القرار وهي الاستقبال الحاشد للاستاذ عبد الوهاب حسين، وهو امر اعتبره تهديدا لامن الدولة (!)، وبيان حركة احرار البحرين الذي اعطى مباركة مشروطة للاتفاق الشهر الماضي وبيانات الحركة الاخرى التي تصر على عودة الدستور والعمل في اطار الاجماع الوطني، وحديث الجمعة الاخير الذي وجهه الشيخ حمزة الديري (احد العلماء الثلاثة المبعدين) الى الشعب بمناسبة اطلاق سراح الاستاذ عبد الوهاب حسين. وادعى هندرسون بان ثمة حريقا اندلع مؤخرا في منطقة باربار واعتبره مؤشرا على عدم عودة الهدوء الى البلاد. (وهو حريق لم يعلم عنه الا هندرسون وربما افتعله موظفوه ان كان قد حدث فعلا). وواجهه قادة الانتفاضة بقولهم بانهم تمكنوا من اعادة الهدوء الى البلاد على مدى الاسابيع الثلاثة الماضية ولم تكن هناك اية حوادث مخلة بالامن، وطلبوا من هندرسون اي دليل مخالف لتلك الحقيقة، واحتجوا على اللغة الاستفزازية التي استعملها وزير الاعلام اكثر من مرة ضدهم وضد المواطنين الذين استمر في وصفهم بالتخريب، واعربوا عن استيائهم لاستمرار استفزازات قوات الامن باعتقال المواطنين وأخذ ثلاث مجموعات منذ عودة الهدوء الى مناطقهم وتصويرهم امام الآخرين وهم يكتبون شعارات على الجدران او يشعلون الحرائق في اطارات السيارات. واخبروا هندرسون ان كل اطراف المعارضة غير مطمئنة الى عدم تدوين الاتفاق وعدم جدولته. ولكن هندرسون كان قد اتخذ قرار التصعيد في المواجهة فاخبرهم بوقف اطلاق المعتقلين.

وبهذا تكون البحرين مهيأة لانطلاق الانتفاضة الثانية بعد اقل من شهر على توقيفها من قبل قادتها في اطار الاتفاق الذي ابرمته مع الحكومة

ويسود الآن قلق شديد في الاوساط السياسية والمالية في البحرين من ان عودة التوتر الى الوضع مجددا ينطوي على مخاطر تفوق ما شهدته البلاد خلال الشهور التسعة الماضية. وقد تحدث عدد من المصرفيين في اليومين الماضيين في لقاءات غير رسمية عن قلقهم من انفجار الوضع بعد ان استمعوا الى تصريحات وزير الاعلام الاخيرة التي لا توحي برغبة جدية في انهاء التوتر، وبعد ان شاهدوا اصرار الشعب على الاستمرار في مطالبه. وهناك اجماع على ان المرحلة المقبلة من المواجهة بين المواطنين وحكومة آل خليفة قد تكون اكثر خطورة، الامر الذي يجعل من المستحيل اعادة الهدوء الى البلاد مجددا. واعرب الكثير من هؤلاء عن اعجابهم بقدرة قادة الانتفاضة على ضبط الامور ورغبتهم في التوصل الى حل سلمي وسريع للقضايا العالقة. وقال مصرفي غربي في جلسة مع بعض زملائه البحرينيين: «كنت اشك في قدرة احد على ضبط الشارع البحريني بعد ان عجزت الحكومة على مدى الشهور التسعة الماضية عن حسم الموقف برغم ما استعملته من اساليب ووسائل لقمع الانتفاضة. ولكن ما رأيته في الاسابيع الثلاثة الماضية اكد لي ان هؤلاء القادة يستطيعون بقوة الموقف والمنطق تحقيق ما فشلت عن تحقيقه قوة السلاح اساليب القمع». واضاف: «لقد بدأت احزم حقائبي سرا، واظن ان زملائي يفعلون الامر نفسه».

١٦ سبتمبر

● نظمت الفعاليات البحرينية ندوة مهمة مساء الاحد، ١٠ سبتمبر ١٩٩٥ بمنطقة «نويدرات» وذلك

يوميات الانتفاضة في شهر سبتمبر ١٩٩٥

الحاضرين الذين كانوا من كافة الاتجاهات الدينية والوطنية شاكرا لهم اهتمامهم بالحضور وتمنى استقرار الاوضاع في البلاد في ظل الدستور. وتحدث السيد محمد جابر صباح، عضو المجلس الوطني الذي حله الامير قبل عشرين عاما، مرحبا بالاستاذ عبد الوهاب حسين باسم الوطنيين واشاد بمواقفه البطولية امام قوات الامن واستفزازات السلطة. واكد تضامن القوى الوطنية والاستاذ عبد الوهاب حسين هو احدى الاشخاص الستة الذين تبنوا مشروع العريضة الشعبية التي وقعها ٢٥ الفا من المواطنين العام الماضي. وفي الوقت نفسه عقدت ندوة مماثلة في منطقة كرباباد تحدث فيها كل من الاستاذ حسن مشيمع والشيخ حسن سلطان والسيد ابراهيم السيد عدنان، وحضرها اكثر من ٣٠٠٠ شخص. وتناول المتحدثون القضايا المتعلقة بالوضع الراهن والموقف الحكومي من الاتفاق الذي عقد مع زعماء الانتفاضة. وهناك اقبال شديد من قبل المواطنين على الندوات التي اصبحت تعقد في مناطق مختلفة من البلاد لمناقشة الاوضاع والمطالبة بعودة العمل بدستور البلاد.

وطالب الاستاذ عبد الوهاب المواطنين بضبط الاعصاب والالتزام بالهدوء لمنع الحكومة من استغلال ذلك لوقف التزامها باطلاق سراح السجناء. وطالب الحكومة باتخاذ مواقف جادة واقلا انه لا من خطوات عملية لكي تثبت الحكومة حسن نواياها تجاه الشعب. وقال ان هناك الكثيرين من الاشخاص الذين لم يستلموا جوازاتهم بعد الافراج عنهم، وهناك من لم يرجع الى وظيفته، والبعض لم يستلم راتبه. وخص بالذكر النساء اللاتي فصلن من وظائفهن مثل حصة الخميري وعزيزة البسام، والمدرسات الخمس اللاتي فصلن من مدرسة مدينة عيسى الثانوية في ابريل الماضي. واشار الى بعض الاعتقالات التي حدثت مؤخرا وكذلك عمليات تصوير بعض الاولاد المعتقلين بعد اخذهم الى مناطقهم وهم يكتبون الشعارات على الجدران او يشعلون اطارات السيارات في الشارع. وطالب الحكومة بفتح حوار جدي مع الشعب وعدم الاكتفاء باعلامها الضعيف الذي يضر بمصالحها كحكومة تريد العيش مع شعبها.

وفي الليلة نفسها اشترك كل من الاستاذ حسن مشيمع والسيد ابراهيم السيد عدنان في ندوة بمنطقة «كرباباد» حضرها قرابة ٥٠٠٠ مواطن وطرحت فيها قضايا عديدة حول الوضع القائم.

وفي ليلة الخميس التالية (١٤ سبتمبر) اشترك كل من الاستاذ عبد الوهاب حسين والشيخ حسن سلطان في ندوة عقدت بجامع الامام الصادق بمنطقة الدراز وحضرها الآلاف من المواطنين. وطرحت تساؤلات كثيرة حول المبادرة وبعض الاشاعات التي تطرحها بعض الفئات المغرضة والمتقاعسة حول الانتفاضة وماذا حققت وحول ما دار في جلسات التحاور بين القادة وممثلي الحكومة في السجن. واديرت الندوة بكفاءة وانفتاح غير معهودين في اجواء القمع التي شهدتها البلاد خلال العشرين عاما الماضية.

الى ذلك ذكرت مصادر مطلعة ان السفير الامريكي في البحرين قال مؤخرا بان عودة العمل بدستور البحرين اصبحت مسألة وقت وان المجلس الوطني ضرورة لا تستطيع الحكومة تجاوزها. وتوقع احد الدبلوماسيين الغربيين بانه لا يستبعد حدوث تغيير كبير في التركيبة السياسية في البحرين في الشهور القليلة المقبلة. وقد اصبح معروفا لدى المواطنين ان رئيس الوزراء يعاني من امراض عديدة وان الاطباء يتوقعون ان يصبح عاجزا عن اداء مهماته في غضون الشهور الستة المقبلة. كما يتحدث البعض عن خلافات في اوساط العائلة الحاكمة بسبب موقف رئيس الوزراء المتشدد على صعيد الوضع الداخلي.ويقول احدهم بان الشيخ خليفة «يحب نفسه واولاده ولا يعطي الآخرين الا الفتات».

وعلى صعيد آخر قال مصدر مطلع ان التغيير الحكومي الاخير يهدف الى عدة امور منها اعادة التركيبة الادارية في البلاد بشكل يأخذ في الاعتبار مواقف الموظفين ذوي الرتب العالية. وقد بدأ العمل بهذه الخطة على مستوى وكلاء الوزارات، حيث لوحظ في التعيينات الجديدة بصمات رئيس الوزراء التي تسعى باستمرار للتمييز بين المواطنين من اجل شق وحدة الصف الوطني وخلق بلبلة تخدم اهدافه وتضعف الموقف الشعبي. كما اكد اكثر من مصدر ان جشع رئيس الوزراء في تزايد مستمر، وان بعض كبار المسؤولين يفرض عليهم الموافقة على مشاريع مضرة باقتصاد البلد وميزتها الوحيدة انها تدر دخلا على رئيس الوزراء وبطانته.

٢١ سبتمبر

● فيما يستمر المواطنون في التزامهم بالهدوء بانتظار تنفيذ الحكومة التزاماتها في اطار الاتفاق الذي ابرمته مع قادة الانتفاضة، تستمر التساؤلات عن مدى جديتها في اطلاق سراح من بقي من النساء في السجون. وقد اثيرت قضية الفتاة حياة القمر، ١٧ عاما، المعتقلة منذ ٢٠ مايو الماضي عدة مرات بين قادة الانتفاضة وممثلي الحكومة بعد ان فشلت الحكومة في اطلاق سراحها برغم وعدها بذلك سابقا. وهناك قلق كبير على هذه المواطنة التي مضى على اعتقالها بدون اي مبرر اكثر من اربعة شهور بدون ان يطلق سراحها او يسمح لاحد من ذويها بزيارتها او توجه لها تهمة او تقدم الى المحكمة. ويتردد ان الفتاة تعرضت لتعذيب رهيب على يدي الجلاد المعروف، عادل فليفل، بامر مباشر من ايان هندرسون، وان السلطات تتردد في اطلاق سراحها بسبب الخشية من انفجار الغضب الشعبي ضد الحكومة فيما لو اطلع الناس على حقيقة ما تعرضت اليه. وقد وعد ممثلو الحكومة في اجتماع مع قادة الانتفاضة يوم امس باعادة مناقشة قضية حياة القمر يوم السبت المقبل.

وعلى صعيد آخر استمرت الحكومة في «عسكرة» جامعة البحرين بعد ان نصبت في حرمها مركزا لمباحث امن الدولة منذ الاول من ابريل الماضي. وفي خطوة خطيرة للغاية عينت الحكومة العقيد الركن محمد الغتم مديرا للجامعة خلفا للدكتور ابراهيم الهاشمي، الذي اقيل من منصبه بسبب مواقفه من اقتحام قوات الشغب الجامعة، وعين مستشارا لوزير التربية، عبد العزيز الفاضل، الذي كان مسؤولا كبيرا بوزارة الدفاع. وكان المدير الجديد للجامعة يعمل مديرا للتزويد الفني بوزارة الدفاع، ويمثل نقله الى وزارة التربية تطورا خطيرا في النظام الاداري في البلاد. ويقول بعض المطلعين على الامور ان الحكومة تسعى لتحصين المؤسسات الثقافية والاجتماعية والادارية ضد اية اضطرابات لاحقة خصوصا وان هناك اصرارا شعبيا على الاستمرار في المطالب حتى يتحقق العمل بدستور البلاد. وتدرك المعارضة ان البلاد تمر بمرحلة خطيرة برغم ما يبدو من هدوء تحقق على ايدي قادة الانتفاضة، وان الوضع قد ينفجر في اية لحظة فيما لو ادرك الشعب ان الحكومة تسعى للالتفاف على المطالب او انها تخطط لاستغفال المعارضة وتمرير مشاريعها العسكرية والامنية.

هذا وما تزال المعارضة ملتزمة بالهدوء ايمانا منها بضرورة عدم توفير اية حجة للحكومة للتراجع عن التزاماتها حسب الاتفاق المبرم مع قادة الانتفاضة. وتأمل ان تستمر الافراجات عن المعتقلين في الايام العشرة المقبلة حسب الجدول الزمني الذي اتفق عليه بين قادة الانتفاضة وممثلي الحكومة. وهناك استعدادات شعبية هائلة لاستقبال الشيخ عبد الامير الجمري الذي يتوقع الافراج عنه في موعد لا يتجاوز نهاية هذا الشهر. وشملت الاستعدادات انتشار الزينة في كافة نواحي البلاد في تظاهرة شعبية حاشدة لم تشهدها البحرين من قبل. وتبدو الحكومة منزعجة من هذا الاحترام الكبير لشيخ الانتفاضة، في الوقت الذي اتسعت الهوة بين الشعب والحكومة بعد معاناة دامت عشرين عاما. وتقوم قوات الامن بازالة الزينةالتي يعلقها الناس في الشوارع العامة ليلا ليعيدها المواطنون نهارا، وليس مستبعدا ان تسعى الحكومة لاستفزاز مشاعر المواطنين باختلاق حوادث هنا او هناك لتأجيل اطلاق سراح المعتقلين. وتدرك المعارضة ان خطوة الحكومة باطلاق سراح المعتقلين جاءت لمنع الغضب الدولي ضدها خصوصا وان عددا من الاجراءات الدولية كانت قيد الاعداد في جنيف. وقد تمكنت من تأجيل بعض القرارات الدولية ضدها بافراجها عن بعض المعتقلين الا ان المسؤولين في هيئة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة حذروا حكومة البحرين من عواقب وخيمة فيما لو اتضح ان خطوتها تلك كانت مناورة للالتفاف على القرار الدولي.

الى هذا نظمت المعارضة مؤتمرا صحافيا في العاصمة الفرنسية، باريس، يوم امس لاطلاع الاعلام الفرنسي على ما يجري في البحرين. وعقد المؤتمر الذي تحدث فيه السيد عبد النبي العكري، ممثل لجنة التنسيق بين الجبهة الشعبية وجبهة التحرير الوطني البحرانية، بفندق لوتيتيا، وحضره صحافيون فرنسيون وممثلون عن منظمات حقوق الانسان. واستعرض السيد العكري اوضاع البحرين بشيء من الاسهاب مستعرضا العرائض الشعبية التي تطالب الامير باعادة العمل بدستور البلاد والمجلس الوطني والغاء قانون امن الدولة والسماح بعودة غير مشروطة للمنفيين.

٢٦ سبتمبر

● اصدرت منظمة العفو الدولية هذا اليوم اكبر تقرير لها عن انتهاكات حقوق الانسان في البحرين موثقا بالصور والمعلومات الدامغة. وقد استقبل هذا التقرير الذي يقع في ٥٠ صفحة باهتمام الصحافة والاعلام العالميين، واجرت وكالات الانباء مقابلات مع ممثلي المعارضة في الخارج، واعتبر وثيقة تاريخية تفضح سياسات القمع والارهاب التي تمارسها حكومة آل خليفة في البحرين. وعبر احد المراقبين الغربيين عن التقرير بقوله: «ان هذا التقرير بمثابة قبلة الموت للضابط البريطاني، ايان هندرسون». فقد احتوى على معلومات دقيقة عن حوادث التعذيب المصورة والموثقة واساليب التحقيق والاستجواب، وشهادات عيان عما يجري داخل غرف الموت. واورد اسماء الشهداء وشهادات وفياتهم التي تثبت تعرض بعضهم للتعذيب والبعض الآخر للقتل العمد برصاص قوات الامن والشغب. واحتوى التقرير ايضا على وصف محاكم امن الدولة التي تفتقد لابسط معايير العدالة، وعبر عن استياء المجتمع الدولي من هذه المحاكمات الجائرة، وناشد ذوي الضمائر الحية في هذا العالم لشجب هذه الممارسات غير الانسانية. وتعرض ايضا لحالات السجن الانفرادي، وسياسة احتجاز ذوي المطلوبين للاعتقال كرهائن من اجل الابتزاز، وحثت منظمة العفو الدولية حكومة البحرين على التحقيق في ما ارتكبته قوات الامن الحكومية من انتهاكات لحقوق الانسان ردا على المظاهرات الجماهيرية المطالبة بعودة الحقوق الديمقراطية. وتقول المنظمة: «لقد اكتظت السجون ومراكز الشرطة بالمعتقلين حتى اضطرت السلطات الى احتجاز الاشخاص في مراكز اعتقال مؤقت». وقالت: «لقد وجهت تهم من قبيل التحريض على كراهية الحكومة لأطفال تقل اعمارهم عن ١٥ عاما، بل وحكم على بعضهم بالسجن ١٠ سنوات» هذا وقد منعت حكومة البحرين منظمة العفو الدولية من زيارة البلاد، اذ قالت المنظمة: «لقد حاولنا مرارا ارسال وفد الى البحرين للتحقيق في انباء وبلاغات انتهاكات حقوق الانسان، ولاجراء مباحثات مع المسؤولين، ولكن بدون جدوى. ولم ترد السلطات قط على الآلاف من المناشدات التي ارسلها اعضاؤنا من اجل الضحايا».

وقد علق ناطق باسم حركة احرار البحرين على التقرير بقوله: ان ما احتواه التقرير يؤكد صدقية المعارضة التي اشتكت للرأي العام الدولي من الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان في البحرين، ويدفعنا للاستمرار في طرح مطلبنا الرئيسي وهو عودة العمل بدستور البلاد بعد ان اثبتت حكومة آل خليفة عدم احترامها للاعراف والتقاليد في البحرين، ولم يبق ما يفرض عليها احترام حقوق الانسان الا الدستور الذي يوفر رقابة شعبية على ممارسات كافة اجهزتها». واضاف: «ان التقرير وفر شهادة دامغة على ما تعرض له شعبنا وحمل الحكومات التي دعمت هذا النظام مسؤولية ممارساته اللاانسانية». واصدرت المنظمة هذا اليوم ايضا فيلما مصورا بالفيديو حول انتهاكات حقوق الانسان في البحرين وزع على محطات التلفزة العالمية، واحتوى على مشاهد بشعة من حالات التعذيب والقتل العمد. وهذه هي المرة الاولى التي يصدر فيها تقرير شامل مصور عما يجري في سجون آل خليفة.

وعلى صعيد آخر، خرجت البحرين عن بكرة ابيها يوم امس لاستقبال شيخ الانتفاضة، الشيخ عبد الامير الجمري، الذي افرج عنه بعد سجن دام ستة اشهر. وقد اكتظت الشوارع بالمواطنين الذين قدموا من كل زاوية من البلاد للتعبير عن المساندة والولاء للقيادة التي اثبتت كفاءتها في ادارة شؤون الانتفاضة الشعبية المطالبة بعودة دستور البلاد. وقد اغلقت الشوارع المؤدية الى منطقة بني جمرة التي يعيش فيها الشيخ الجمري وعائلته، ولم يكن بالامكان استعمال السيارات لمسافة اربعة كيلومترات من المنطقة. هذا بالرغم من محاولة الحكومة مفاجأه الناس باطلاق سراح الشيخ. فقد كان مفترضا اطلاق سراحه في ٣٠ سبتمبر، حسب اتفاقها مع قادة الانتفاضة الذين كانوا يحاورونها في السجن، الا انها افرجت عنه صباح امس عندما كان المواطنون في اعمالهم وذلك لسببين:

الاول منع تكرر الموقف المحرج الذي تعرضت له الحكومة في السابع من هذا الشهر عندما توافدت الجماهير من كافة مناطق البحرين لاستقبال الاستاذ عبد الوهاب حسين الذي كان مقررا الافراج عنه ذلك اليوم. يومها كان هناك اكثر من ١٥ الفا من المواطنين ينتظرون قدومه، الامر الذي احرج السلطة وجعلها تبدو امام العالم في موقف ضعيف حيث يستقبل الشعب من كانت تعتقله وتعذبه استقبال الابطال الفاتحين، بينما لا يحظى اي من افرادها بشيء من ذلك الاحترام الشعبي.

الثاني التشويش على تقرير منظمة العفو الدولية المذكور اعلاه. وكانت قد قامت بما يشبه ذلك عندما بدأت في اطلاق سراح المعتقلين في الوقت الذي كانت فيه هيئة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة تناقش وضع البحرين في جنيف الشهر الماضي.

وقد خطب الشيخ الجمري في الجماهير التي احتشدت مساء امس، وخاطب الحكومة قائلا: هذا هو شعبنا المسالم الذي يتناسى جراحه عندما تتوقف السلطة عن استفزازه، مؤكدا ان الشعب مستمر في مطالبته بعودة العمل بدستور البلاد. وكان هناك اكثر من ٤٠ الفا من المواطنين الذين قدموا من كافة نواحي البلاد، فيما كانت منطقة سترة تحتفل بطريقتها الخاصة بخروج الشيخ الجمري من السجن. وقد عبر دبلوماسيون اجانب في المنامة عن ذهولهم لرؤية الحشود الهائلة التي توجهت لبني جمرة، وقالوا ان تماسك الشعب بهذه الصورة لن يترك للحكومة مجالا للتهرب من اعادة العمل بدستور البلاد، خصوصا وان المعارضة مصرة على انها لن تقبل باي شيء اقل من ذلك.

الاتفاق الامني الى أين؟

تمر البحرين اليوم بمرحلة حساسة ودقيقة في تاريخها، سيكون لمعطياتها تأثير كبير على صورة المجتمع البحرين خلال العقود القادمة، لقد شهد العام الماضي احداثا جساما تغيرت خلاله الكثير من الامور التي كانت تعتبر من المسلمات. فلم تعد الجماهير في مختلف بقاع هذه الجزر المعطاءة بعيدة عن الحياة السياسية، ولم تعد «النخبة» المثقفة وحدها في ميدان العمل السياسي، بل اصبحت كل شرائح المجتمع تقريبا تشترك في تقرير مصير البلاد.

تصاعد المواجهة:

استهلت الاحداث بالعريضة الدستورية، التي اختلفت عن سابقتها المقدمة عام ١٩٩٢ بأنها لم توقع من مئات المهتمين اصلا بالمشاركة الشعبية في الحياة السياسية فحسب، بل وقعت من قبل الآلاف من المواطنين الذين كانوا يختزلون الرغبة الجامحة في تحسين اوضا ع البلاد السياسية والمعيشية ولكنهم عدموا الوسيلة المشروعة للتعبير عن هذه الرغبة. وهكذا انتقل القياد الاجتماعي من «النخبة» الى الشارع الواعي والمعارضة الرزينة، وحصل ذلك في تناغم وتفاهم لم يكونا متوقعين حتى من قبل القائمين على العريضيتين والمؤيدين لهم.

ورغم محاولة الحكومة قطع الطريق على الاستفتاء الشعب العام الذي رفض النهج اللادستوري الذي حكمت به البلاد منذ صيف ١٩٧٥، عندما قامت باعتقال فضيلة الشيخ علي سلمان ومجموعة من الشباب، فان الرياح جرت بما لم تشتهه سفينة مستشاري الدولة، اذ تفجر الشارع في البحرين غضبا على تعنت الحكومة ورفضها لاستلام العريضة. وارتكبت اجهزة الامن حماقة اخرى بالصعود بسلم المواجهة الى اقصى درجاته حيث اطلقت النار واستشهد الهانيان في ١٧ ديسمبر ١٩٩٤. ومن يومها اصبحت المواجهة الشعبية مع اجهزة القمع تكبر وتسرع ككرة الثلج التي تحولت كالصخرة المنحدرة من اعالي الجبال. وعمت المظاهر الرافضة لسياسات الحكومة البحرين من اقصاها الى اقصاها، فلم تبق قرية لم تساهم في التحرك بطريقة او اخرى.

منظرو العلم السياسي يقولون أن الحاكم يحتاج اما لحب الشعب او احترامه له او خوفه منه. ومع استمرار الاحداث وازدياد الضحايا وانتهاك الحرمات، فقدت حكومة البحرين هذه المقومات الثلاث حتى من اقرب المقربين لها، وحتى من اولئك الذين لم يفكروا يوما ما بتحدث الحكومة واجهزتها. ودخلت البلاد في دوامة من العنف الرسمي والتحدث الشعبي، حتى اصبحت الامور وكأنها تتجه الى طرق مسدودة وقنوات مظلمة، لا يعرف الا الله سبحانه وتعالى نهاياتها المدمرة.

وشيئا فشيئا نمى الوعي السياسي بحجم الحدث. واصبحت كل جنازة شهيد، او ذكرى اربعين محطة للتحدي والاصرار من قبل الناس، ضد البطش المتخبط من قبل اجهزة الامن. واحرقت القيادة السياسية ـ كما تسمى الآن ـ جسور العودة وحاولت تفتيت المعارضة بحشرها في زوايا فكرية ومذهبية ضيقة، الا ان وعي المعارضة وتلاحم المخلصين من ابناء البلاد سنة وشيعة في بوتقة حب الوطن، اضافة الى كون الحكومة القت بغيوم ظلمها على كل جنبة في المجتمع، كل ذلك منع من تفتت الصف الوطني، او خروج النتوءات الشاذة، اللهم الا اصواتا مبحوحة يائسة تحاول ان تكون ملكية اكثر من الملك، او ان تتدارك موقفها المنهار.

من جهة اخرى استمع العالم الخارجي الى صوت العقل القادم من المعارضة، وتفهم منطق الحوار والسلم الذي طرحته في بياناتها وتصريحاتها وناقشته في لقاءاتها، واذا بالحكومة تعيش في عزلة خارجية تعزز من عزلتها الداخلية. ولطالما حاول المخلصون من ابناء البلاد كسر حالة الجمود والعنف، والتخفيف من اجواء اليأس، عن طريق فتح قنوات حوار، الا ان اجنحة رجعية في الحكومة كانت تقامر بمستقبل البلاد الاقتصادي والسياسي من اجل الاستمرار في ابتزاز ما تبقى من خيرات هذه الجزر الكريمة.

الاتفاق الامني:

ومن المحاولات المخلصة للخروج بالازمة كانت مبادرة الاخوة العلماء والاساتذة في السجن، والتي اتضحت تفاصيلها مؤخرا وبدأت باطلاق سراح بعض السجناء الذين كان اعتقالهم اصلا واحتجازهم بدون محاكمة أمرا غير دستوري. ومع ان الاتفاق ما زال في مراحله الاولية الا ان الجناح المتشنج في الحكومة يحاول تخريبه عن طريق التصريحات المثيرة، وعن طريق الاستمرار في الاعتقال، والاسراع بمحاكم صورية لادانة اكبر عدد ممكن من الشباب وبالتالي توفير مبرر للاعتقالات الجماعية بالادعاء ان من بين الآلاف الذي دخلوا السجون جماعات «مخربة». على الجانب الشعبي. وواصلت الحكومة محاولاتها زرع بذرة التفرقة، واغتيال المكانة الشخصية للعلماء والاساتذة الذين اطلق سراحهم، كما حاولت ان تعطي الانطباع العام بأن الأمور قد تحل بهذا الاتفاق الامني. اما على صعيد التحالف الوطني، بين الجماهير وقادة الانتفاضة من جهة وبين مختلف فصائل المعارضة من جهة اخرى، فمرة اخرى فشلت الدولة في مهمتها، فقد ازداد التلاحم افقيا وعموديا، وارتفعت معنويات الناس وعادت اليهم الثقة التي حاولت الحكومة سلبها من ابناء البحرين، الثقة في ان الامة هي التي تقرر مصيرها، وان شعب البحرين اهل للمشاركة في ادارة شؤونهم ، وهي مهمة ظلت حتى الآن حكرا على فئة صغيرة في المجتمع لا تتمتع بشرعية دستورية او دينية او جماهيرية.

وقد يستغرب البعض من تردد المسؤولين بالاعتراف بوجود اتفاق امني مهما كانت ظروفه، وانه سيكون المنطلق لاجراء حوار سياسي، كل ذلك لحفظ «هيبة» القيادة السياسية، مع ان هيبة الدولة المتحضرة تأتي من تفاعلها مع الناس، وتقوى بالحوار مع مختلف مكونات المجتمع المتمدن، وليس عيبا ان يستمع الحاكم لشعبه، او يخضع لارادته، فهذا هو الوضع الاصح، والذين يستسيغون تركيع الامة لحكامها مصابون بتلوث في عقولهم وقصر في نظرهم.

ولاظهار حسن النية والرغبة في الوصول باوضاع البلد الى شاطيء الامان، فان على المسؤولين في الدولة اغتنام هذه الفرصة الذهبية التي قد تحفظ ماء وجههم. على هؤلاء الاستمرار في تنفيذ ما وعدوا به الاخوة في السجن، باطلاق سراح كافة المعتقلين، ثم اطلاق سراح من صدرت بحقهم احكام، واخلاء السجون من كافة المعتقلين السياسيين وضمان عودتهم الى اعمالهم، والسماح بعودة المنفيين والمهاجرين دون قيود، حافظين لهم كرامتهم، والبدء في اجراء حوار وطني تشترك فيه مختلف القوى الممثلة في العريضة الدستورية، والالغاء الفوري لقانون امن الدولة. لا بد من وضع برنامج زمني لبدء الحوار، والاتفاق على جدول اعماله وفتح المجال للحريات العامة كالندوات والتجمعات، واطلاق الحريات الصحفية، ما دام المتحاورون والمجتمعون لا يدعون للعنف، ولا بد من فتح صدر الامة. ليس في كل هذا خسارة لاحد، بل ان الجميع سينجح من انتقال البحرين من جزيرة ظلم وآلام الى جزيرة ود وتعاون بين مختلف ساكنيها، كما انه من الخير لهذه البلاد، ومستقبلها الاقتصادي في مرحلة شحت فيها وارداتها النفطية، ان تتحسن سمعتها دوليا، وان تكون مركزا للاستثمارات التجارية، ورائدة لحركة التصنيع الاقليمي.

اما اجهزة الامن فان عليها ان توجه طاقاتها وامكانياتها لمواجهة الجرائم الاجتماعية وتحسين البلاد من تجارة المخدرات وتوفير الامن للمواطنين، بدلا من ارعابهم.

لقد تركت الاحداث آثارا سلبية على المئات من العوائل التي فجعت بشهيد او مشوه، والتي تعرضت ممتلكاتها للتلف نتيجة الانتهاكات المتكررة لقوات الشغب، وعليه فلابد من تكوين لجنة لدراسة التعويضات اللازمة، لتكتمل عملية المصالحة الوطنية.

الضمانات:

هذه الصورة التي مع معقوليتها، قد تعتبرها دوائر مغرضة غير قابلة للتحقق، ربما تنقلب الى مأساة. فمن الانتقادات التي توجه للاتفاق الامني هو غياب الضمانات اللازمة لمنع تجاوزه او تبرير تراجع الداخلية عن الالتزام به، لان حريقا شب هنا او بيانا صدر من المعارضة، او كلمة قيلت في ندوة. فقد يكون في اوساط الدولة من يعتبر هذه الفترة مجالا لتبريد الشارع، وتجاوز الضغوط الدولية ومنظمات حقوق الانسان، ومرحلة لاعادة تجميع قوى الدولة امنيا واعلاميا وسياسيا، ومن ثم الانقضاض مرة اخرى على الناس وضربهم ضربة قاصمة لم تتهيأ للدولة خلال الشهور العشرة الاخيرة. وقد يأخذ الغرور هذا الفريق لتصديق من يشور عليهم بهذا.

غير ان خطوة من هذا القبيل ستعود بالويل على البلاد والعباد، وعلى الحكومة مباشرة. فالشارع اليوم مسيس الى درجة لم تعهدها البحرين، والوعي الاجتماعي وصل مستوى متقدما، والمعارضة، في الداخل والخارج لها من العلاقات والاتصالات بمختلف الدوائر الحقوقية والاعلامية والبرلمانية في العالم ما سيجعل المواجهة مع الامة مضمونة النتائج وهو خسارة المراهنين على هزيمتها. كما ان شرائح مختلفة من ابناء البحرين ممن وقفوا على الحياد مالوا مؤخرا لصالح المطالب الدستورية، وهناك الكثير من المفاجآت التي يرجى ان لا ترتكب هذه الدوائر حماقة لظهورها لمسرح المواجهة معها.

واخيرا فان اكبر ضمانة لفشل اي محاولة للالتفاف على المطالب السياسية، بتسويف الاتفاق الامني والتملص منه، هو الوحدة الوطنية التي تجلت بارقى مظاهرها خلال العام المنصرم، بحيث وقف المتظاهر من القرية الشيعية يدافع عن حقوق الوطن بكامله، ووقف المحامي السني يدافع عن السجناء الشيعة، ووقفت المرأة ذات الحس الليبرالي الوطني تدافع عن علماء الدين ووطنيتهم، وتلاحم الداخل والخارج والقائد والشارع والرجل والمرأة في اطروحة رزينة ثابتة واضحة الاهداف، بلا مزايدات وبلا تجاوزات. وهذه البوتقة المباركة من التلاحم الوطني، تحتاج الى موقف شجاع من المسؤولين، والانضمام الى صفوف ابناء الوطن باجراء الاصلاحات اللازمة والبدء في حماية البلاد وتحصينها، وبناء ما تهدم من جوانبها، واعداد البحرين لان تدخل القرن الواحد والعشرين في مصاف الدول المتمدنة التي يحكمها القانون، وتسودها الثقة المتبادلة بين الحكومة والشعب، وتستغل الامكانيات القليلة لتطوير الحياة المعيشية والذود عن حياض الوطن، ومنع انتشار الجريمة.

ان البلاد تمر بمنعطف مصيري، فهذه المرحلة، اما هدوء يسبق عاصفة، او ما بعدها. فاما ان تقوى وتتحد البلاد، او ان تصاب بشلل، وتسقط سمعتها، وقد ابدى الشعب حسن نيته باختيار الطريق الاول، وعلى الحكومة ان تقدر الموقف، والله غالب على أمره.

جراحات حمامة ... صرخة مكلومة من البحرين

كان يا ما كان في قديم الزمان.. فئة من الناس كتب الله على قلوبهم المحبة والسلام واسكنهم على ظهر حمامة مباركة آمنة. وكانوا هم اول من آمن بالرسالة وصدق الرسول وبايعه..

لقد كانت تلك الحمامة البيضاء تشبه في وداعتها وبراءتها الحمامة التي نامت مطمئنة امام المغارة التي آوى اليها رسول الله (ص) فكانت سببا في حفظ الرسالة وصاحبها فاصبحت رمزا للسلام والاسلام.. فمن كان يريد الاسلام فليرتقي ظهر تلك الحمامة..

وما اجملها تلك الاجنحة وهي تحتضن اغصان الزيتون لتبني، وحولها تناثرت الاغصان بين اخضرها ويابسها الا ان قناعتها تمثلت في ذلك الغصن الالهي الذي ترجمته حروف قرآنية - والتين والزيتون - فلم ترض عنه بديلا..

واستقامت حياة هانئة جميلة لتلك الحمامة ومن معها بعد ان غسلت قلوبهن رمال طاهرة بيضاء كانت في نقاوتها كقطرات الندى المنزلقة على صفحات وريقات خضراء في صباح ربيعي ناعس استمد نشوته من نفحات انحدرت من جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين..

واتحدت القلوب وتلاحمت على الحب، وتعاضدت الانفس على صنع الخير واحتمى القوي بالضعيف، واستظل الفقير بالغني، ورفعت الحواجز وفتحت القلوب قبل الابواب.. واذا كان ذلك حالهم واذا كان ذلك دأبهم وديدنهم فهل يسلمون من اعين الحسد والشر..

فاذا بتلك الايام الجميلة تنقلب وتخرج عن رتابتها وهدوئها، ويمزق صفوها رمح غادر يخترق جسد الحمامة الوادعة التي افترشت الارض الواسعة واستظلت بالسماء اللامتناهية ظانة ان الكون من حولها ما زال بخير، وها ذي تسقط الدماء تتساقط منها بغزارة، وألم المفاجأة قد افقدها كل احساس وجودي حتى انها لم تشعر بألم الرمح النافذ..

لقد كان سقوطها حادا، ولكن الرمال الصفراء المترطبة بندى النخيل الباسقات وقطرات مياه البحر الزرقاوات قد امتصت سرعة السقوط وخففت من شدته، وكأن الموت قد اوشك على الامساك بها لو لا بصيص امل لاح في الافق الوردي الذي اشراب بحمرة العيون الدامعة، ورايات خضراء تهزها اجنحة واصوات تمزق الارض، كل ذلك بعث فيها الحياة وجعل الدماء تفور وتثور لتقاوم موتا حتميا اعدته ايد ما كانت تريد لتلك الحمامة ان تحيا ولا ان يكون لها ظل على ارض الوجود.. انها القوة التي استمدتها تلك الحمامة من غصن الزيتون الذي لم يفارق منقارها يوما، ذلك الغصن الذي فرض وجوده في كل مكان.. فوق الاسطح... طافيا على مياه الجداول.. على اغصان الاشجار.. وفوق الصدور..

ترى من فكر في قتلها...؟ وحمامة السلام والاسلام لم تعاد احدا وهذا صدرها فتحته لابناء التربة والغربة.. فاذا بالمكر ينبعث ويخرج من بين المساحات الخضراء التي امتازت بها تلك التربة المباركة دون غيرها، ويظهر غراب اسود اللون ظل ينعق وابتسامة النصر تعلوه مزهوا بما فعل... وتكلم بكل عجرفة وتكبر قائلا: هذا بلاء انت جلبته لنفسك وايامي قد افنيتها للنيل منك، ولكنه الوهن الذي اقعدني وسرق القوة من جسدي وظللت اتحامل لأقف ولما اشتد ساعدي رفعت رمحي لاطعنك به..

وبكت الحمامة دمعا ودما.. وتساءلت.. لماذا...؟ فاجابها الغراب والسخرية قد لوثت كلماته.. هل تذكرين اشاعة ام الخضر والليف...!! فاستغربت الحمامة من كلامه وتساءلت والدهشة تملأها.. ام الخضر والليف...؟!

قال: اجل.. لقد اعتمدت مبدأ الخرافة وخلقت من الخيال قصصا صدقها ابناوك فانقلب الخيال الى حقيقة بعد ان عشعش الخوف في نفوسهم وانتشرت جذوره في عقولهم وكنت اغذيهم خوفا ور عبا مصورا لهم مقدمها وشكلها فترتعد اوصالهم لرواياتي فيصبحون بعدها لقما سائغة وما اسرع ما ينصاعون لأوامري.. فالتفتت الحمامة نحوه متسائلة ونزف الدم لم يتوقف عنها والرمال الصفراء العطشى ما فتئت تمتص الدماء المتساقطة: وهل احضرتها حقا لهم.. ؟.. فضحك الغراب وتراجع للخلف قائلا: انما احضرتها عقولهم الساذجة... الا تعرفين ان ام الخضر والليف انما هي النخلة.. هي الاصل والاساس.. ولكنني غيرت نظرتهم اليها وكنت اهولها لهم فصاروا يحسبونها شيئا مرعبا ولكنني اعترف انها هي الخير والعطاء.. هي الثمار والخضرة والليف والكل منها يستفيد الا ازيدك علما.. اتذكرين اشاعة ام حمار... وابو قرون.. والفارس الملثم... وغيرها كثير، وما زلت حتى عصر النور الذي نعيشه ازرع الجهالة والخوف والرعب.. اتدرين ما سبب نجاحي...؟ لأن الجهل والنخل ما زال مسيطرا مما جعلني اعيش بينكم سيدا.. واحكم واستأثر ولولا اسلوبي هذا لما استطعت على الصمود والبقاء.. انه قانون الحياة.. البقاء للافضل.. وهذا افضل ما املك.. فماذا تملكين...؟

فنظرت اليه الحمامة الجريحة المكلومة ودموعها قد جفت في مآقيها وثورة غضب من اجل الحق قد تفجرت في داخلها... وصرخت فيه بكل جوارحها.. ماذا تتصور.. كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله نحن الباقون وانتم الزائلون.. يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين...

لقد حانت الساعة لقتل هذا الغراب اللعين. يجب ان يموت من عقول الناس حتى يبقى وحيدا بجسده لا قوة تحميه ولا ناصر يعاضده. عندها اطعنه بغصن زيتوني فتكون نهايته.. ومن الله استلهم القوة في القضاء عليه.. هكذا حدثت الحمامة نفسها وبنت امرها وطار الغراب الى وكره يخطط ويجمع الاعوان.. ومن هناك طارت الحمامة لتحرر العقول التي تسممت بتلك السموم. وانقلبت تلك الدماء النازفة الى خناجر حادة صارت توجه طعناتها الى تلك العقول وظلت تصرخ فيهم... افيقوا.. فهل انتم نيام فاوقظكم فتنتبهون..

هل هي الوداعة التي اسرتكم ام هي السذاجة ام حب الدنيا قد اعمت بصائركم.. فاذا بالعقول تتفجر وتتحرر.. وتموت الخرافة... وتحمل المناقير اغصان الزيتون وتتبع الحمامة التي حملت غصن زيتون اصطبغت اطرافه بالدماء الساخنة التي ابت ان تجمد او تموت لتغرسه في صدر الغراب الذي لم يستطع فرارا ولا محيصا... ويصرخ صرخة قوية ارتجت لدويها اعجاز نخل خاوية ورددت صداها صحارى جرداء جدباء كانت يوما واحات خضراء وارفة الظلال...

وبقى جرح لا يندمل في جسد الحمامة بينما طارت حمامات من بروجها وهي تحمل اغصان الزيتون المباركة في فضاء زرقته جميلة وشمسه ساطعة...

تلك هي قصتنا لم تكتمل فصولها ولن تكتمل.. لأنها قصة الصراع الازلي بين الحق والباطل وستبقى صفحاتها مفتوحة تخط كلماتها ريشة الزمن التي تستمد الوحي من الله العلي القدير...

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة

في ما يلي نموذجان من ادب الانتفاضة من بين المنشورات الكثيرة التي وزعت في البحرين تحت اسماء متعددة.:

ليس هناك مواطن بحريني الا وهو ممنون ومدين للحكومة الرشيدة على ما تفعله في صالح شعبها، ولا يشفى غليلنا الا ان نفصل شكرنا بكل نقطة على حدة.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... لأنك خلقت من شعب مسالم هاتك لحقوق نفسه ذليل.. خلقت منه شعبا مجاهدا مقداما يأبى السلم الاحمق والتقية الموضوعة في غير موضعها.

شكرا ايتها الحكومة.. عندما اتخذت من القتل بالرصاص اسلوبا حكيما (كما يعبر عنه رئيس الوزراء).. ومن ضرب النساء في الشوارع وهتك سترهن، ومن اعتقال الصبابا والمجانين لان هذا جعل الدول في جميع انحاء العالم تهضم الاسلوب الحكيم الذي استخدمه رئيس الوزراء وجعل الدول جميعها تعلم بطبيعة هذا الاسلوب الذي كان خفيا وراء ستار السجون طوال السنين الماضية.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة.. عندما اتبعت اسلوب الاعتقال العشوائي وزججت كل من هب ودب في السجون لأن هذا يعتبر مشروع كبير جدا للاصلاح... فالطالح يتأثر من الصالح ويخرج من السجن بعد ان يستبدل بطارية قلبه المشحون بالشحن السلبية باخرى ايجابية، وبهذا فانت ايتها الحكومة الرشيدة وفرت على من يحب الاصلاح وقتا وجهدا كبيرين في اصلاح الشباب.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة.. لأنك اعتقلت الجمري ومن بعده ابنته... فاعتقال الجمري جرعة ضخمة جدا يتجرعها الشعب البحريني لتزويده بالطاقة الجهادية والفدائية بل الانتحارية.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة.. لأنك لم تستجيبي لمطالب الشعب المتواضعة جدا.. لأن هذا يجعل الثائر يغلي لدرجة اضافة مطلب جديد لا يحتاج لموافقة الحكومة وهو قلب نظام الحكم!!!

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... لأنك كان لك الدور الفعال في تحول الشعب البحرين الى حملة مناصرة الامام المهدي (عج) والتي يفتخر بها كل الشعوب..

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... لأنك كشفت عن طرقك الخبيثة بل الغبية في التفرقة بين السنة والشيعة.. بل وبين كل مواطن بحريني له اعتقادات خاصة به.. لا صلة لها بحب الوطن فما فعلت كان سرابا تلهثين وراءه من اجل ان تشربي جرعة الانتصار ولكن هيهات.. لم يكن ذلك الا سرابا.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... فقد حولت من العجوز التي لا تعيش الا من اجل لقمة العيش عجوزا حاملة لشعار مقدس وهو دفع ابنائها من اجل الحرية.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... فقد حولت الفتاة التي كانت تعيش من اجل ان تقابل المرأة اربعا وعشرين ساعة.. حولتيها الى فتاة قتلت التفاهة في نفسيتها وقالت: لا تهاون بعد اليوم.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... عندما اعتقلت اكثر من ٥٠٠٠ معتقل.. فقد حولت الاسر المفككة الى اسر مهاجرين وانصار.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... عندما افشيت البطالة والفساد لأن هذا يعكس وضع سياستك الشاذ في الخليج من تجاهر في ابتلاع حقوق الناس المادية والمعنوية.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... عندما اعتقلت آباء وامهات الاطفال وحرمتيهم من الابوة والامومة حتى تخلقي من هؤلاء قنبلة بشرية انشطارية عليك.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... على حمقك في اعتقالهم واستجوابهم وتعذيبهم ومحاكمتهم.. فهذا كله دلائل بارزة للعالم اجمع على رشدك البالغ حدا لا يوصف..

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... على مطالبتك المحكومين بمبالغ خيالية.. لأن هذا اثبت للجميع الخسارة التي لا بد من تعويضها بأي طريقة.. وتدل على تعود الحكومة الرشيدة الحياة الحمراء الصاخبة التي لا بد من تعويضها من دماء الشعب.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة.. لأنك جسدت هذا القول (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) بعد ان كان الشعب مستوعبا لهذه المقولة نظريا لا عمليا.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... لأنك اعتقلت الاطفال القاصرين وجعلت منهم اطفال حجارة في ظرف شهر واحد فقط.

شكرا ايتها الحكومة الرشيدة... لأنك ادخلت الشعب البحريني في لوحة الشرف بالسماء محفورا عليها باللؤلؤ والاستبرق والفسيفساء الجناوي اسماء هاني وهاني وعبد القادر وحسين الصافي وعبد الحميد ومحمد جعفر ومحمد علي ونضال و.. و.. و.. اسماء المفقودين الذي قتلوا ولا احد يعلم عنهم سوى الله.

و.. و.. و.. اسماء ستقتل فداء للدين والوطن.

واخيرا شكرا ايتها الحكومة الرشيدة في كل اسلوب فلا نستطيع احصاء ظلمك..

شكرا لأن كل اسلوب ينقلب في صالح الشعب ويبقى ضد مصلحة الحكومة الرشيدة!

قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون). سورة البقرة ـ الآية ٢١٦.

من أوراق السجن

ماذا أكتب، وعي أي شيء أتحدث اليك؟ من أين أبدأ وأين انتهي، ففي قلبي سفر حافل بصراخات الاطفال ومباضع الجلادين تمزق اجسادهم، وأنين المعذبين يكسر حاجز الصمت المطبق في هذا البلد المرتهن بأيدي القراصنة والمرتزقة وأعداء الانسانية. كلما هممت بحمل القلم لاكتب اليك رأيتني مترددا لا أملك قوة التعبير، فالخطب اكبر من أن يوصف بالمداد، والدماء التي تزين حيطان الزنزانات اعظم من ان تصفها كلمات تخطها يد مكبلة بالقيود. لطالما حاولت النوم، فكان السهاد نصيبي من الليل، فكيف اغمض عيني وأنا ارى من حولي جسدا شابا مزقه الحاقدون ونهشته كلاب السلطة، وكيف تخلد نفسي الى الرقاد وعيون الثاكلات لا تعرف الى النوم سبيلا.

رأيت شعاع الشمي يتسلل في حذر من كوة صغيرة في اعلى الزنزانة، فعلمت ان الصباح قد أطل على هذا الكون، واكبرت في ذلك الشعاع شجاعته وقوة بأسه اذ خاطر بنفسه متحديا قوى الامن واطل على زنزانتنا ليخبرنا بحلول يوم جديد. فمنذ ان حللنا هذا المكان بدا لنا ان كل ما في هذه الارض مسخر لخدمة الظلم والظالمين، وان البشر مخلوقون ليعيشوا على دماء بعضهم البعض، وكأن الله لم يخلق دروبا للرزق الحلال، فما أضيق أفق هؤلاء العصاة الذين ضاقت عليهم طرق الكسب الا طريق الظلم والامتهان والتعذيب. انعمت صباحا ايها الشعاع الذهبي، فما اكبر شهامتك وما اقوى شكيمتك، وما اجمل انسانيتك. فلولا اطلالتك الخاطفة كل صباح لنسينا ان هناك ليلا ونهارا يتعاقبان بانتظام، وان الايام تتوالى لتنهي عهد الظلام وتأتي بالنور الى المعذبين الذين يرزحون بين جدران اربعة تمنعهم من الارتباط بمنظومة الكون الازلية. يظن الجلادون انهم يستطيعون منع القلوب المؤمنة من الارتباط بربها، ولكنك ايها الشعاع رسول من الله الى هذه القلوب تطمئنها وتؤازرها وتؤكد لها ان قوانين السماء ثابتة وان الظالمين الى زوال.

سمعت قبل اطلالة شعاع الشمس ببضع ساعات صراخا في زقاق العنبر، واستغاثات وقعقعة، فعلمت ان واحدا او اكثر من بني لحمتي قد اقتاده الجلادون الى هذا المكان الذي تمتهن فيه الانسانية وتقتل فيه روح البشر. ولم يكن حدثا جديدا، فلم تمض ليلة بهدوء منذ ان جيء بي الى هذا المكان، ولطالما مزقت اصوات المعذبين صمت الليل وكلاب السلطة تنهش لحومهم. لكنني لملمت اعضائي المتداعية ونظرت من الكوة الصغيرة التي يطل السجانون منها علينا، فرأيت طفلا لم يتجاوز الخامسة عشرة وقد عصبوا عينيه وراحوا يجرونه الى زنزانة مجاورة، وهم يصرخون بوجهه ويركلونه بأرجلهم والدماء تخط الارض خطا. كان الطفل شامخا كالطود، يافعا كالورد، شجاعا كالاسد، صامدا كالجبل، كبيرا كهذا الشعب، وكان جلادوه وحوشا مفترسة امتهنت مص دماء الابرياء وتفننت في وسائل القتل وتمزيق الاشلاء. لم أتبين ملامحه، لكنني شعرت بالاكبار تجاهه، وهو يتمالك نفسه متحديا ارهابهم، يسقط تارة ويقوم اخرى، يقابل ضربهم بالصمت ويخفي آلامه ويمنع اناته من الخروج الى العلن. اهو سعيد الاسكافي؟ لا استطيع القطع بذلك، ولكنني اعلم انه احد ابطال هذه الامة الذين كسروا عنفوان الظالمين والجلادين وهزموا خليفة وهندرسون وفليفل والمعادوة بصمودهم وحبهم للشهادة واصرارهم على الاستبسال. وما هي الا لحظات حتى اختفى الشاب اليافع عن بصري، وبعد لحظات رجع الجلاوزة وهم يتمزقون غيظا على هذا الشعب: لا بد ان نسمع كلمة منه.. أرأيت اصراره وعناده ورفضه الكلام؟ من الذي علمه هذا العناد والتحدي؟

تراجعت الى الخلف قليلا لكي لا تراني الكلاب المسعورة، وانا ارى الشرر يتطاير من اعينها، وهي تبحث لاهثة عن الفريسة كل لحظة، ولن تتردد في الفتك بمن تراه في طريقها. ادركت أن هذا الشعب قوي بايمانه واهدافه ووحدته وصموده. بينما انا اهم بالنوم بعد ان قضيت شطرا من الوقت ساعيا بدون جدوى، لتناسي همومي الشخصية، تكرر الموقف نفسه،.. صراخ وقعقعة وركض وضرب وشتم وكلام بذيء.. لن انظر كل لحظة من الكوة لأنني لن اعرف الا القليل، ولن ازداد الا حقدا وحنقا على هذا النظام الحاقد على الشعب والامة والمبادىء والقيم والانسانية.

يكفيك عذابا ان تسمع استغاثات المظلومين فلا تملك الاستجابة لها، ويكفيك وحشة ان تعيش بين جدران ملطخة بدماء الابرياء، وكتابات هنا وهناك خطتها ايدي السجناء الذين تعاقبوا على غرف التعذيب. ويكفيك تعاسة ان تبقى متفرجا على مشهد تسقط فيه الضحية على الارض فتحتوشها الكلاب اللاهثة ولا تملك ردها،.. تبقى انت المشاهد الوحيد في ذلك المسرح، وحين يتكرر المشهد عدة مرات في اليوم الواحد، تمل العرض كله وتشعر بالاشمئزاز من رؤية الدماء وهي تجري على الارض بدون توقف، ماذا تفعل وأنت مقيد الايدي، معصوب العين اغلب الوقت، هل يستطيع الاسد السجين في القفص الحديد ان ينقض على الكلاب خارج القفص؟ كل سجين من شباب البحرين اسد هصور وتخشاه وحوش الحكومة فترمي به في الزنزانات. شيء واحد يبقى حاضرا في ذهنه وهو يرى يدا تتقدم باسم الشعب زورا وبهتانا لتصافح يد الامير وعصبته على مكرماتهم. لا شكر للظالم على ظلمه، ومن يعش في الزنزانات يوما واحدا يرفض ان يتكلم الانتهازيون باسمه.

شموخ الجراح

إذا سالتْ على الأرض الدِّماءُ ... ولوَّنها الشهيدُ كما يشاءُ
وعلَّمها الحياةَ كما يراها ... خُلوداً لا يُعكِّره فناءُ
ستُزهر أرضُنا حُبّاً كبيراً ... تحيطُ به الكرامةُ والإباءُ
وتحتفلُ الجموعُ بكلِّ نصرٍ ... ويكسو موطني الغالي الضياءُ
سيسخرُ بالقيودِ صمودُ شعبي ... ويعصفُ بالقلاعِ الشهداءُ
شهيدٌ ظلَّ يحذوهُ شهيدٌ ... فكوكبَةٌ فوزٌ وارتقاءُ
نفوسٌ كان يُعليها شموخٌ ... تُطأطئ كي تُقبِّلَها السماءُ
صنعتم بالشهادةِ كلَّ عزٍ ... سلامٌ للشهادة واحتفاءُ
وبوركتْ الدماءُ وقد تسامتْ ... قضيَّتُها العَدالةُ والبناءُ
تلقَّنَّ كل من يقضي بظلمٍ ... بأنَّ الظلمَ ليس له بقاءُ
ليبقى - للجراحِ - الفصلُ دوْماً ... ويجري - مثلما تبْغي - القضاءُ

الافراج عن الشيخ الجمري - التتمة من ص ١

امام هذه الحقائق فليس هناك مجال للتفاؤل الكبير بالوضع في البحرين. اننا لا نريد استباق الاحداث ولا نريد ان يكون التشاؤم صفة ملازمة لخطابنا السياسي، ولكن الواقع يفرض نفسه بشكل قد لا يلتقي مع الرغبات. ففيما يتطلع الكثيرون الى حالة اكثر انفتاحا واستقرارا، فان الحكومة فشلت في الاعتراف بوجود حوار مع قادة الانتفاضة واصرت على ان اطلاق السجناء ليس تنفيذا لصفقة معهم بل هو نتيجة عفو اميري لشباب ضالين، وهي لغة الاستبداد والغطرسة. وتراهن الحكومة على ان مرور اسابيع او شهور على الوضع الحالي الذي حقق قادة الانتفاضة فيه الامن والهدوء بخطابهم ومنطقهم سوف يقلل من حماس المواطنين للمواجهة والمطالبة بالدستور. واذا كانت تعتقد ذلك فانها مخطئة تماما. فالشعب يدرك مطالبه وهو مصر على تحقيقها باي ثمن. واذا كانت حركات اكثرا ميلا للعنف قيد التشكل، فان ما هو اخطر من ذلك ان تنطلق الانتفاضة الشعبية الثانية على اسس من التوافق الاجتماعي والسياسي بين كافة فصائل المعارضة في البحرين. وقد بدأت ملامح الانتفاضة الثانية تتشكل، ولن يكون بالامكان احتواء آثارها هذه المرة، كما لن تكتفي بمطالب اصلاحية محدودة.

لقد حقق قادة الانتفاضة ببضع خطب ومحاضرات ما عجزت حكومة آل خليفة عن تحقيقه، وسجلت تاريخا جديدا لنضال الشعوب، واحرجت الحكومة بشكل لم تكن تتوقعه، وخرج الجماهير لاستقبال الاستاذ عبد الوهاب حسين والشيخ عبد الامير الجمري بالافهم، واظهروا من الاحترام والتقدير لقادة الانتفاضة ما لم تكن الحكومة تتوقعه. وتحولت البحرين في فترة قصيرة الى حالة شعبية فرضت الجماهير فيها

في البلاد لن يسمح لها بالعودة الى ما كانت عليه قبل اندلاع الانتفاضة، وان ظاهرة العمل السياسي المتمثلة بالندوات والتصريحات اصبحت عنوانا عاما للمرحلة الجديدة، ولكن لن يسمح لها بان تطول، لان ما هو مطلوب هو ان تقنن حياة الناس في اطار الدستور في اسرع وقت ممكن. وترفض المعارضة المقولة التي ترددت كثيرا بان الوقت غير مناسب الآن لانتخابات برلمانية حسب ما يدعو اليه الدستور. فالشعب يعتقد انها مقولة يقصد بها منع الحياة البرلمانية في البحرين اسوة بما يحدث في السعودية، وان الوقت لن يكون اكثر ملاءمة لذلك في اي وقت من الاوقات وترفض المعارضة هذه المقولة بشدة وتعتبرها تكرارا لمقولة قالها المسؤولون في اغلب الاحيان تشير الى اوضاع خاصة بالمنطقة تمنعها من التزام الخيار الديمقراطي.

اننا ما زلنا نعتقد ان بامكان السلطة وضع نهاية سريعة للازمة، الا ان ذلك يتطلب منها مواقف وسياسات اخرى تعكس رغبة صادقة لدى المسؤولين تجاه العلاقات مع المواطنين. وما يزال ذلك بعيدا، ومن هنا فانه في الوقت الذي رحبت المعارضة فيه بالافراج عن السجناء فانها اصرت على ضرورة اعادة العمل بالدستور في اسرع وقت ممكن. وتصر ايضا على ان الوقت الآن ملائم لذلك والشعب ينتظر عودة الدستور والحياة البرلمانية بوعي واصرار على الممارسة الديمقراطية. وفي ظل تقرير منظمة العفو الدولية الذي اصدرته الشهر الماضي حول البحرين في خمسين صفحة، فقد تاكد للرأي العام العالمي بشاعة ممارسات آل خليفة، واصبح هناك اصرار على مطالبتهم بتعديل الاوضاع والسير بها في الطريق الملائم.

جاء تقرير المنظمة الدولية ليضع الامور في نصابها وليؤكد للعالم بان شعب البحرين يتعرض لابشع انتهاكات حقوق الانسان وانه صامد في مطالبته بحريته وحرية شعبه. وحكومة البحرين تجد نفسها في دفاع دائم عن سمعتها في الوقت الذي تستعد فيه المعارضة لجولات قادمة قد تكون اكثر تحديا لسلطة الحكومة واوسع